

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي :/.....

رقم التسجيل : ط1. 171735096960

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص :

بعنوان :

هواجس الثورة في رواية جمهورية كأن لعلاء الأسواني

قراءة سوسيوثقافية

إعداد الطالب :

✓ خضار رضوان

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة :

وهيبة دربالي	الرتبة أ.محاضر . ب جامعة : المسيلة	رئيسا
ميذاغين هشام	الرتبة أ. محاضر . أ جامعة : المسيلة	مشرفا ومقررا
بغادي نسيمية	الرتبة أ.محاضر . أ جامعة : المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية : 2021 / 2022

المحتويات

أ	مقدمة :
مدخل	خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة.
6	1- مفهوم الربيع العربي
7	2- مفهوم الرواية
8	3- تمظهر ثورات الربيع العربي في الرواية العربية
6	الفصل الأول
12	أولاً: الصراع الاجتماعي في الرواية
26	ثانياً: الانحراف الاجتماعي ومظاهره في الرواية
29	ثالثاً: انتهاك المحظور الاجتماعي
28	الفصل الثاني
35	أولاً: الهيمنة وتفكيك الخطاب السلطوي في الرواية
39	ثانياً: الجندر والحركة النسوية
51	ثالثاً: الانتلجنسيا وسقوط المثقف في الرواية
61	الخاتمة :
49	الملاحق
63	ملخص رواية جمهورية كأن :
68	قائمة المصادر والمراجع :
69	ملخص بالعربية :

شكر وعرفان

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "من لا يشكر الناس لم يشكر الله".

إنه لمن الواجب علينا قبل المضي قدما في عرض هذا العمل، أن أحمد الله أولا

وقبل كل شيء على توفيقه لي، وثانيا أرفع أسمى عبارات الشكر والتقدير

للأستاذ المشرف " **ميداعين هشام** " على إشرافها الجاد والمفيد في التصحيح والتوجيه

وتصويب

الأخطاء، فلها مني جزيل الشكر والعرفان .

والى كل أساتذة وإدارة جامعة محمد بوضياف بالمسيلة .

كما أشكر كل من ساعدني على تجاوز عقبة هذا البحث ولو بكلمة التشجيع .

مقدمة

مقدمة :

اهتمت الرواية العربية بتفاصيل الأحداث والعلاقات الاجتماعية، وهذا ما جعلها جنسا أدبيا متميزا مس مشكلات الواقع، حيث أن كل روائي كان يركز على المواضيع التي تتعلق بمرحلة معينة بوعي سابق لا راهن ، ومنه فقد تعاملت الرواية المعاصرة الجديدة مع مواضيع الواقع تعاملًا مختلفًا عن ما قدمته الرواية الحديثة فتجسدت المشكلات المطروحة ضمن النص الروائي تجسيدا دقيقا ينبع عن وعي ودراسة من كاتبها . فالرواية شكل من أشكال الكتابة السردية التي تحاول كشف الواقع أو إعادة بنائه من خلال سرد نثري يصف آفاقا متخيلة كليًا أو جزئيًا عبر مجموعة من العناصر والأسس مثل الشخصية والحدث والزمان والمكان واللغة والسرد فيشكل تفاعلها مع البناء الفني .

تكمُن أهمية الرواية في قدرتها على هضم الأحداث والتغيرات التي تفرضها بكافة أشكالها وملامسة نبض الشارع عن قرب ، ضمن رؤى متعددة للحدث ذاته ، فالربيع العربي بوصفه ابداعا عربيا على مستوى الكلمة والحدث ، يعتبر الاضطراب السياسي الأبرز الذي تعيشه منظومة الوطن العربي ككل منذ عقود وهي حالة أدت الى حدوث هزات عنيفة على مستوى التفكير والتطلعات والآمال والخيبات ، فطالت عروش زعماء وحدود دول عربية مما أثار اما بالسلب أو الإيجاب على المجتمع العربي .

سعى النص الروائي الى كشف الممارسات الاجتماعية والفكرية والثقافية الحادة أو العنيفة ، التي تؤدي بدورها الى خلق مجتمع مضطرب أو مرتبك فكريا ونسعى في دراستنا لرواية جمهورية كأن الى دراسة أدبية تحاول قراءة النص الروائي من خلال المنهج الاجتماعي والدرس الثقافي ، لما فيهما من ارتباط يمس الواقع المجتمعي ، ولأن كلا منهما يؤدي الى الآخر نهاية المطاف ، فبعض الأفكار تتحول الى نسق ثقافي والأنساق الثقافية بطبيعتها تحدث تطورا وتغيرا في العادات والتقاليد والأفكار الاجتماعية .

ولذلك عمدنا الى دراسة سوسيو ثقافية في رواية "جمهورية كأن"، وقد تم اختيار هذا الموضوع لأسباب موضوعية وأخرى ذاتية أما الموضوعية منها :

ما يتعلق بالموضوع نفسه كون الموضوع جديد من حيث طبيعة القصيدة أو النص المدروس حيث لم يتطرق أحد إليه حسب علمنا من قبل .

وأما الذاتية فهي إعجابي الشديد بأعمال علاء الأسواني وخاصة في روايته الأخيرة التي تتحدث عن الربيع العربي وثورة يناير في مصر .

وقد جاءت الرواية توثيقا للأحداث التي عقبث ثورة يناير وسقوط النظام الفاسد بمشاركة مثقفين ورجال أعمال وحتى الأدباء ومختلف الأجهزة الأمنية وركزنا في دراستنا على الجانب الايديولوجي والثقافي مستعنين بآراء النقد الثقافي فكان موضوعا لهذه المذكرة "دراسة سوسيو ثقافية في راية جمهورية كأن "

وقبل هذا يجب الإجابة عن التساؤل: ما الذي تبحث عنه الرواية تتحدث عن فعل لم يكتمل بعد ما هي الغاية وما هي المبررات ؟

هل أصبح الفن الروائي قادرا على مواكبة التطورات السياسية المتسارعة ومسايرتها زمنيا وفنيا ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات انتقينا رواية جمهورية كأن لتسليط الضوء عليها وتحليلها وقد انتهجنا الخطة التالية : مدخل وفيه وضحنا مفهوم الربيع العربي وعلاقه الرواية المعاصرة بتوثيقه وفصلين تم عنونتهم ب : لذا قسمت الدراسة الى مدخل و فصلين هما : الفصل الأول : قراءة سوسيلوجية لرواية جمهورية كأن واستعرضنا فيه الصراع الاجتماعي في الرواية ، أما الفصل الثاني : استعرضنا فيه القراءة الثقافية للرواية

وفي الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة هي حوصلة لهذا الموضوع مرفوقة بجملة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراسة هذا الموضوع .

ولما كان لكل باحث منهجا متبعا ، من خلاله نتناول قضايا اللغوية ، فقد رأينا ضرورة اختيار منهج يتلاءم وطبيعة دراستنا ألا وهو المنهج التحليلي الوصفي ، للوقوف على الأيديولوجية الاجتماعية والثقافية لنص "رواية جمهورية كأن" لعلاء الأسواني

وقد اعتمدنا في دراستنا للموضوع على جملة من المصادر والمراجع التي ساعدتنا على انجاز هذا العمل ونذكر منها :

- علاء الأسواني، رواية جمهورية كأن، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2018،

- مصطفى الموقين، تشكيل المكونات الروائية، دار الحوار للطباعة والنشر، سوريا ط1، 2001

- مخائيل باختين، الكلمة في الرواية، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ط1 ، 1988

- صلاح كامل، الانتل جنسيا ، هذا اللغز البرجوازي ، دار الفارابي ، بيروت ، 1979

- محمد عابد الجابري ، المنقفون في الحضارة العربية ، محنة ابن حنبل ونكبة بن رشد ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، 1995

وعلى تواضع هذا البحث واجهته صعوبات جمة :

- ضيق الوقت

- صعوبة التعامل مع المادة العلمية لكون البنية اللغوية موضوع متشابك

- عدم القدرة على الالمام بكل المراجع التي تختص بدراسة شعر شوقي بزيعلاحة بالموضوع وإثرائه .

وبعد حمد الله وشكره الذي أمدنا بالارادة والعون على إتمام بحثنا هذا نتوجه بالشكر
الجزيل الى الأستاذ المشرف الذي مد لنا يد العون من خلال اشرافه على هذا البحث ، كما
لا يفوتنا أيضا أن نشكر كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب فان وفقنا فمن الله وان
أخطأنا فمن أنفسنا .

مدخل

1- مفهوم الربيع العربي

هو مجموعة التغيرات الحادثة في الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في الوطن العربي برمته ، ذلك الذي بدأ أواسط العام 2010 حينما حرق شاب تونسي -عرف إعلاميا بالبوعزيزي- نفسه عمدا ، احتجاجا على الظلم ، مما أدى الى اشتعال الأحداث في البلاد ، وخروج الشعب بمظاهرات عارمة أدت الى اسقاط الرئيس التونسي ، ومن ثمة انتقلت حالة الغليان الشعبي الى مصر ، فأدت الى عزل الرئيس هناك ، وبعدها انتقلت الى معظم الدول العربية بشكل متباين ، فأدت الى مقتل الرئيس الليبي وعزل الرئيس اليمني ، ثم تطورت الأحداث وبدأت الثورات المعاكسة في الدول التي نجحت في ثورتها ، وانتشرت الجماعات المسلحة في سورية والعراق ودول أخرى للقتال ضد وعلى السلطة ، مما جر دولا إقليمية أخرى للتورط في هذه الصراعات في دولها ، وانقسم الشارع العربي بين كل ذلك الى فئات تدعي بعضها الحرب على الإرهاب ، وتدعي أخرى أنها تحارب الامبريالية والتبعية وتحول الصراع الى حرب ضد الايديولوجيات المتباينة أدت الى عمليات نوعية على مستوى الكلمة والصورة والحدث ، في عملية ابداع في العمل وادهاش حتى في الوحشية ، وفق تجاذبات مجنونة للشارع العربي تلك التي مازالت حرائقها تشتعل .

تقف الرواية المعاصرة على هضبة متغيرات لا تتوقف على مستوى المسلمة والمنطق والحدث ، ساعية لقراءة الواقع وتقديمه معلبا للقارئ ، اما انخراطا في عملية التجاذب ، واما لتوجيه المجتمع نحو المناطق الامنة في حراكه التخبطي العام ، واما لاستقراء الواقع وتعريفه ذهنيا وواقعا ، كعادة الرواية بشكل عام منذ نشأتها بفعل التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لحدث مشابه سمي الثورة البرجوازية ، عجزت باقي الفنون القصصية الأخرى عن استيعاب واقعها الجديد ، وتلقفتها الرواية .

2- مفهوم الرواية

تتخذ الرواية لنفسها العديد من الأشكال فهي تجمع بين الواقع والخيال وبين الخطاب الاجتماعي والسياسي والأيدولوجي، مما لا يجعلنا نجد لها تعريف بسيط جامع مانع لأنها تتشارك والأجناس الأدبية ومن هنا فهناك من يرى بأنها فن نثري تخيلي طويل نسبيا للقياس الى فن القصة في حين هنالك من يقول عن الرواية " على أنها رواية كلية شاملة أو ذاتية تستعير معمارها من بنية المجتمع، وتفسح مكانا تتعايش فيه الأنواع والأساليب كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضة من خلال التعريف نجد أن الرواية تتميز بما يلي:

- الكلية والشمولية سواء في تناول الموضوعات أو من ناحية شكلية
 - قد تكون الرواية معبرة عن الفرد أو الجماعة أو عن الظواهر
 - ترتبط الرواية بالمجتمع وتقيم معمارها على أساسه
- الرواية مثل المجتمع تتجاوز المتناقضات وتجمع بين الأشكال الأدبية¹.

ظهرت الرواية في بدايتها في أشكال الوعظ والتسلية لأنها كانت تنشر في المجالات والجرائد ومن ثمة للارتباط بالتاريخ والأساطير الشعبية " كانت تنتمي الى التراث العربي ومن يرصد تطور الرواية العربية يلاحظ غلبة الرواية التاريخية التي تستمد اطارها ورموزها من التراث العربي ولكن سرعان ما تحولت عن الرومانسية الى الواقعية بسبب ظروف الواقع العربي نفسه². وبما أن الرواية تعتبر مرآة عاكسة للمجتمع فهي تستلهم موضوعاتها منه.

¹صالح مفقودة ، أبحاث في الرواية العربية ، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب العربي ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ص5

²محمد هادي مرادي ، لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها ، مجلة دراسات الأدب المعاصر ، السنة الرابعة ، العدد16 ، ص116

3- تمظهر ثورات الربيع العربي في الرواية العربية

أ/ رواية " ثرثرة في قرطاج" للدكتور منجي الأعشاب

هي رواية من صنف التجريب ويمكن عدها رواية سياسية تاريخية تحليلية نقدية ، ولئن كانت شخصيات الرواية خيالية ولا صلة لها بالواقع الا أنها نجحت في تحليل الواقع التونسي وتحديدًا زمن الثورة ، وهي بذلك تعد أول رواية تعالج واقع الثورة التونسية وتحفر في نقد الواقع المعاش أملا في البحث عن قرطاج جديدة أو "تونس جيدة " في اطار حمى التقلبات السياسية التي يعرفها البلد من يناير 2011م.

تهتم رواية " ثرثرة في قرطاج " بنقد الواقع السياسي لتونس وتنبش في العديد من المحطات التاريخية المفصلية في تاريخها السياسي المعاصر على وجه الخصوص ، فمن تاريخ افتتاح تونس على الدولة الأغلبية في القيروان والمورسكيين الوافدين من الأندلس من خلال نظرة افتتاح قرطاج على حضارات أخرى وانعكاسات ذلك على طبيعة المجتمع التونسي المتعدد والمنفتح على دوام العصور الى التغيير الذي تم على رأس السلطة السياسية في تشرين عام 1987 .

ولم تكف الرواية بنفض الغبار عن تلكم الاحداث التاريخية بل عممت السؤال عما اذا كان التحول (تولي بن علي السلطة في 1987) وليد ظروف اجتماعية قاهرة أم ثورة مجتمعية أم تدبير خارجي ؟ ... ثم لم تلبث الرواية ان جرت قارئها للتساؤل عما اذا كان هذا الانقلاب سببا غير مباشر في اندلاع ثورة الربيع العربي 2011 ؟ هل كانت ثورة عفوية ؟ هل كان مسار الثورة ناجحا ؟ هل حققت الثورة أهدافها ؟ كل هذه الأسئلة وغيرها طرحتها الرواية .ومن خلال الرواية تيسر التعرف على مختلف الآراء السياسية .

يقف القارئ على حبكة قصصية متفردة ومأتاها توالد الأحداث من بعضها البعض وكل حدث رئيسي تتولد عنه أحاديث فرعية ليعبر الكاتب عبر آلة الزمن ليلتقط مختلف الآراء ، ومن ثمة شغف فاطمة بأجدادها هو من دفعها للبحث في تاريخهم ودورهم الفاعل في تونس ، ودفاع عبد الودود عن منصبه الشرعي دفعه الى تذكير مهدي بالظلم الذي تعرضت له الأحزاب الإسلامية .

ب/ رواية باب الخروج للكاتب عزالدين شكر

من أبرز الروايات التي تحدثت عن ثورة مصر ، تدور أحداث الرواية عن شاب مصري شغل منصب المترجم في القصر الرئاسي في البداية ، عمل على ترجمة المقالات ثم بعد ذلك أمتحن مهنة الترجمة الفورية للقاءات الرئيس ومحاوراته الدولية ، توقع الكاتب من خلال أحداث الرواية الأمور التي حدثت ابان ثورة يناير 2011 م ، حيث وفق عزالدين شكري في معظم نبوءاته بشكل كبير مما أدى الى نجاح الرواية نجاحا ملحوظا ، حيث صدقت توقعاته عن حكم مصر بعد ثورة يناير ، تحدثت الرواية عن صعود الاسلاميين في مجلس الشعب وعن أول رئيس اخواني في تاريخ مصر على الرغم من أن الرواية تم كتابتها قبل الانتخابات الرئاسية 2011 بكثير ، ثم تتحدث عن انقلاب عسكري على هذا الرئيس وعن مذبحه غير آدمية للإسلاميين ، وصولا الى عودة العسكر للحكم مرة أخرى .

ج/ رواية فرسان الأحلام القتيلة للكاتب إبراهيم الكوني

تدور أحداث الرواية حول عمارة التأمين في مصراتة التي كان القناصة منتشرين فيها وهي واقعية ، والتي أسماها في الرواية عمارة الضمان وكيف حفر الثوار نفقا في جدران البيوت لكي يصلوا للمبنى .

تحكي الرواية واقع الانسان الليبي الذي عاش تحت نظام استبدادي ، وذلك من خلال شخصية البطل غافر ، وهي شخصية مثقفة تعرضت للاضطهاد والطرده من عمله كمدرس بسبب اعتراضه على مضامين المناهج الليبية ، لينخرط مع بداية الشرارة في معارك طاحنة بين الثوار وكتائب القذافي اذ كانت مهمة الجدران للوصول لبناية الضمان .

د/ رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" للكاتب خليفة خالد

تتحدث عن مأساة أخلاقية واجتماعية لأسرة عايشة بداية الانقلاب العسكري الذي سيطر بعده حزب البعث على السلطة ثم موت الرئيس وتولي ابنه الحكم ، وبالرغم من موت الرئيس الا انه بقي حيا بمخبره وتقديره والخوف الذي زرعه في ارجاء المدينة وتحاول الرواية تتبع الفشل الذي لازم نظام حزب البعث الحاكم في سوريا منذ الانقلاب وحتى قيام الثورة .

وهناك روايات أخرى معاصرة عرضت للتدليل على بعض الأفكار التي جاءت بها الروايات ستذكر في حينها .

ه/ رواية "مدن اليمام" للكاتبة إبراهيم تريسي

تدور أحداث الرواية بين زمنين ، الزمن الأول هو الثمانينيات ، وتجري أحداثه في حماة والمن الثاني هو بعد عام 2011 ، وتجري أحداثه في أكثر من منطقة سورية تحكي الروائية حكاية حماة وما جرى فيها وحكاية الثورة السورية من خلال ما تراه وما يرويه لها ابنها الذي يعتقل فيما بعد كذلك من خلال صديق ثالث سمى نفسه حنظله وصار يرسل إليها حكايات المناطق الثائرة .

الفصل الأول

أولاً: الصراع الاجتماعي في الرواية

يرتبط الصراع في الأدب بالعملية السردية ، أي بالرواية والقصة ، اذ يشكل العنصر الرئيس فيها " تتوالى من خلاله الأحداث تدريجيا الى نهايتها ويشتمل على عدة خطوات أهمها :

أ / نمو الأحداث وحركتها : يبدأ الكاتب قصته بالحديث ثم يطره حتى تصبح القصة حياة المتدفقة بالحركة ، والقصة الناجحة تسير وفق حركة طبيعية بعيدا عن السرعة والبطأ
ب/ الصراع والعقدة : وفيها يقدم بعض النقاد العقدة على الصراع ويجعله نتيجة لها ، والحقيقة أنالعقدة تتكون بعد أن يحسن الكاتب سرد الأحداث وفق حبكة قصصية تعتمد الصراع ، متنامية الى الموقف المتأزم والمشوق الذي ينتظره المتلقي بشغف الى ما سيحدث بعده وهو ما يمكن القول عنه احتدام الصراع¹.

وعلى العموم في المجال الأدبي الصراع " يحمل معنا فنيا نقديا لا يراد بها معناها اللغوي الصرف ، بمعنى النزاع والمحاربة بين شخصين ، فقد يكون الصراع خارجيا بين شخصيات القصة والأفكار والمبادئ التي يعتنقها الأشخاص ، أو صراعا داخليا ينمو في الشخصية ذاتها من خلال حيرتها وترددتها بين المواقف المتباينة².

ومما لا شك فيه أن الصراع ظاهرة قديمة متجذرة في التاريخ البشري " اذ لم يخلوا عصر من مظاهر الصراع بمستوياته الكثيرة وأبعاده المتشعبة ، والأدب كونه خطابا تمثيلا وتعبيريا عن خلجات الانسان ، فمن اليسر ارتباطه بالصراع ، حيث يشكل الأدب فضاء

¹كمال غنيم ، عناصر القصة القصيرة ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، د ط ، 2015 ، ص01

²المصدر نفسه ، ص02

للصراع وأداة له عندما يتم تفعيله لصالح طرف ضد في شبكة تعالقات اجتماعية وأيديولوجية غاية في التعقيد¹

وقد أخذ الصراع في العصر الحديث منحى آخر اذ أصبح يوظف كمرادف لطبقات المجتمع ، فظهر ما يسمى الصراع الطبقي وغدا " المقولة الرئيسية في الحياة الاجتماعية فهو صراع بين قوى اجتماعية قاهرة وأخرى مقهورة ، وتحدث المواجهة نتيجة لفقدان التوازن في النظام الاجتماعي ، حيث تكون هناك طبقة مالكة للسلطة والثورة ، وأخرى فاقدة لهما². ومنه ظهرت عدة روايات تبرز هذه النقطة بالذات ، نقطة التفاوت الطبقي والصراع الذي ينشأ بين الطبقات الحاكمة وطبقة الشعب والعمال .

لينتقل الصراع بعد هذا الى وجه اخر ويتطور أكثر ، أصبح من " أجل السلطة والثورة ، لذلك نجد كل طرف يعمل بجد ، بكل قواه ليقضي على الآخر من دون رحمة أو تسامح ، فيضع الانسان وسط هذه المواجهة العنيفة ويسحق دون اعتبار لانسانيته وحقوقه³ وهو ما يخلف التصادم والاحتدام بين الانسان وأخيه الانسان ، ويزيد من العنف والصراع بين القوي والضعيف.

وينحصر الصراع فكريا في الصراع الطبقي بشكل بارز ويليه ما جاء مع الوجوديين ، وهي الفكرة الأساسية خصوصا لدى الغربيين ، أي حتمية المواجهة مع الآخر من أجل تحقيق المصالح وحفظ الوجود ، بمعنى أن الغرب " عرف صراعات متنوعة فمن صراع الفرد مع الآلهة الى الصراع الطبقي ، الى صراع الفرد مع الآخرين ، الى غيرها وذلك كله يعد تأكيدا على أهمية الصراع وضرورته في الحياة وفي الأعمال الأدبية⁴ . ومنطلقهم في كل هذا هو حفظ الحياة وأن الصراع من ضروريات وبديهيات الحياة فلا معنى لوجود

¹سامية ادريس ، صور الصراع في رواية ص لزرزاب بوكفة ، مجلة الخطاب ، جامعة عبد الرحمن ميرة ، بجاية ، مج 13 ع 1 ، ص135

²أحمد ميساوي ، أنواع الصراع في روايات نجيب كيلاني ، رسالة ماجستير ، اشراف عكاشة شايف ، جامعة تلمسان ، 1993-1994، ص30

³المصدر نفسه ، ص30

⁴المصدر نفسه ، ص30

الانسان دون خير وشر ودون الحياة والموت ودون كل المتناقضات التي تتصارع فيما بينها

يرتكز الصراع الاجتماعي في الرواية على صراع الشخصيات مع بعضها البعض في اطار اجتماعي ، "الأمر الذي يكشف ارتباط الأديب بواقعه وما يتيح له التعبير عن كل ما يجري فيه ، فهو يشاطر الآخرين الامهم وآمالهم ، ولا بد أن يتأثر بكل ما يجري حوله على مسرح الحياة من أحداث " ¹. ويعد هذا الصراع من أبرز الصراعات التي ظهرت في الرواية العربية نظرا لطبيعة المجتمع العربي الذي يسوده نظام القبائل ، ويحكمه عرف العادات والتقاليد ، وبهذا سعت الرواية الى " كشف الظلم الذي تعانيه شريحة كبيرة من المجتمع العربي ، لتبشر بشرارة ستتطلق يوما لتحرق هشيم الاقطاع والاستغلال " ².

1- صراع الطبقات الاجتماعية

القيمة الرئيسية للرواية، ليست جديدة بل مُتكررة منذ عمل الأسواني الشهير "عمارة يعقوبيان" 2002، حيث الفساد المتغلغل في أوصال الدولة، علاوة على استبداد رجال الشرطة، وحالات القهر والتعذيب التي يُمارسها رجالها، وإن كانت هذه المرة ليست لقيادات الجماعات الإسلامية فقط، وإنما أيضا للثوار والذين شاركوا في الثورة كنوع من العقاب على ما حدث في 25 يناير 2011.

الصراع الذي يحكم الرواية نوعان؛ صراع طبقي وصراع سياسي. الطبقي يتجلى في العلاقة بين أشرف وبصا والخادمة إكرام من جهة، ومن جهة أخرى علاقة دانية ابنة رئيس جهاز مباحث أمن الدولة وخالد مدني ابن سائق عصام شعلان الماركسي القديم والرأسمالي

¹ أحمد ميساوي ، أنواع الصراع في روايات نجيب كلاني ،ص62

² محسن خليل عمر ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1978، ص18

الجديد؛ فالعلاقات جميعها غير متكافئة" ماذا يحدث اذا دعوت خطيبتك الأرستقراطية الى الغداء في مطعم أنيق فخم¹.

بالنسبة إلى العلاقة الأولى، حقق أشرف وبصا لإكرام ما تطمح إليه من إعادة الاعتبار لآدميتها، والأهم أنهما خرجا معا وكأنهما حبيبان كما طلبت منه، على الرغم من أن الذي يحكم العلاقة، هو المنفعة من طرف أشرف والتعويض من طرف إكرام. فالأول يستغلها جنسيا في تعويض الحرمان الذي تعاقبه به زوجته ماجدة " ان حياته مع ماجدة ليست الا سلسلة من الخلافات والمشاجرات ، تتخللها فترات طويلة من الصمت العدوانى والتعليقات المسمومة والتجاهل المتغطرس ، ألحت عليه حتى يبيع عمارة جده في شارع طلعت حرب حيث يسكنون ، ويشترى فيلا في أكتوبر أو التجمع ، لأن وسط البلد تحول في رأيها الى منطقة شعبية لا تليق بهم².

والثانية تستعيز بما يغدقه عليها أشرف من كلمات حبّ أثناء الممارسة عما تفتقده من زوجها منصور الفظ والمدمن، ومن ثمّ هي تتوق إلى علاقة إنسانية. ومع هذه الفجوة إلا أنّ المؤلف يُحسب له أنه كشف لنا عن ضعف هذه النفس، وتوقها إلى ما يرفع من قدرها بأن تكون محبوبة" علاقته باكرام أفضل من علاقته بزوجه بعد مضي ربع قرن عليها ، بنظرة واحدة تفهمه اكرام وتحس به ، وتدرک اذا كان جائعا أو هائجا أو مكتئبا أو متعبا من التسطيل ، مرة في عقب نوبة حب رائحة وضعت رأسها على صدره وهمست :

يمكن أسأل حضرتك سؤال بس ما تزعلش

تفضلي

حضرتك مش تحب المدام ماجدة ؟

¹علاء الأسواني ، رواية جمهورية كآن ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2018، ص154
²الرواية ، ص33

لا

ليه ؟

طباعنا مختلفة

أنا قبطني يا اكرام ما عندناش طلاق ...¹

العلاقة الثانية غير المتكافئة على المستوى الطبقي وهي من المفارقات هي علاقة خالد مدني ابن السائق بدانية ابنة سعادة اللواء أحمد علواني. فإذا كانت أيديولوجيا الراوي أعطت دانية مساحة تعاطف مع حادثة أم خالد سعيد " لقد تأثرت من مأساة خالد سعيد وتحمست لزيارة والدته ، ولم تفكر الا في مواساتهم ، لم يخطر في بالها تأثير الزيارة في أبيها وأخويها ، لن تتحمل أبداً ، تكون سببا في ايذئهم انهم أكثر من تحبهم في الدنيا " ² فهذا لا يعني الإسراف في الخيال ويجعلها تهبط لحدوث علاقة حبّ بينها وبين خالد، وإن كانت تعلم نهايتها، فمهما حقّق خالد من نجاح أو مال في النهاية، فهو في نظر أبيها ابن السائق. هذا الحب حوّل المؤلف إلى حبّ محرّم، وسرعان ما عجلّ بنهاية خالد كهروب من مأزق كيف تنتهي هذه العلاقة الشائكة التي ستصطدم حتماً بسلطة وطبقية الأب " عندما يتكلم على أبيه ، يظهر على وجهه مزيج من الحنان والاعتزاز تحترم فيه انه لا يخجل اطلاقاً من أسرته المتواضعة "³ قال لها مرة ساخرا عارفة ؟ ساعات بأخاف من صداقتنا ليه ؟.

والدك ممكن يضيعني أنا وأسرتي في لحظة واحدة

والدي بيطارد الإرهاب والجواسيس فقط

ضحك وقال

¹الرواية ، ص66

²الرواية ، ص119

³الرواية ، ص100

الحمد لله أنا مواطن صالح¹

وبالنسبة إلى الصّراع مع السُّلطة فيأتي من طرف الثّوار وبالفعل كانوا في صراع حقيقي وغير ومتكافئ وهو ما انتهى بالتتكيل بهم وتشويه صورهم عبر حوادث كشف العذرية للبنات، وانتهاك ذكورية الرجال، ثمّ السلطة والثّوار باستخدام أجهزتها الأيديولوجية في قمع الثّوار بشتى الوسائل، والإعلاميّة من خلال تشويه الثّوار وما فعلوه، وهو الدور الذي لعبته المذيعة نورهان بمهارة. وهناك صراع آخر مكتوم، تمثّل في ضحايا الثورة ضدّ السُّلطة ومثاله هنا والد خالد عمّ مدني مع ضابط الشرطة هيثم الميلجي قاتل ابنه، بعدما برأته المحكمة " أشكركم مرة أخرى على اعطائنا الفرصة لاطهار الحقيقة مرة أخرى ، نؤكد أننا لسنا ضد الجيش ، كل ما نطالب به أن يحاكم كل من ارتكب هذه الجرائم سواء من أعطى الأوامر أو من نفذها² .

وفي إطار انشغال الكاتب بفكرة التوثيق لحدث في الأصل تمّ توثيقه صوتاً وصورة، غابت ملامح الفن وسيطرت الوثائقية والتاريخية، فحوى النص في داخله شهادات حقيقية لبعض الذين وقعت عليهم انتهاكات الشرطة، وإن جاءت هذه الشهادات دون توظيف في سياق الأحداث، حضور شهادات سميرة إبراهيم، ورشا عبدالرحمن، وسلوى الحسيني، جاء للتدليل على انتهاكات النظام، وهي منقولة عن شهادات موثّقة عبر اليوتيوب، وبعضها مكتوبة في مواقع إلكترونية. وبالمثل شهادات لبنى درويش، وبيشوى سعد، ومحمد الزيات عن أحداث ماسبيرو. ومع هذه الوثائقية إلا أن ثمة بعض المبالغات " احنا جينا مراتك مروة ... قسما بالله لو ما تكلمت حزلي العسكري ينط عليها قدامك .

صرخ الرجل

حرام عليكم

¹الرواية ،ص101
²الرواية ،ص319

نظر اللواء علواني الى المخبرين ، فهرعوا خارجين ثم عادو وهم يمسكون بامرأة ترتدي جلبا منزليا ممزقا ¹.

تدخل في باب المبالغات الصورة الاستهلاكية لرجل الدين، فصورة الشيخ شامل هي صورة مُكررة لرجل الدين متناقض الشخصية، والذي باع نفسه للسلطة مقابل المال والظهور الإعلامي. وقد أفردت المدونة الروائية لهذا النموذج المبتذل رواية نالت شهرة عريضة، ألا وهي رواية "مولانا" لإبراهيم عيسى، ومن ثم جاءت الشخصية وكأنها تكرر لما ورد عند إبراهيم عيسى " أحب المصريون الشيخ شامل عندما ظهر لأول مرة في برنامجه الأسبوعي قناة التقوى ولما زادت شعبيته انسحب منها وأنشأ قناة السراط التي فتحت عليه أبواب الخير ، يتحدث الشيخ شامل دائما بنعم الله عليه ²

وفي الرواية جوانب إنسانية مهمّة؛ فقد كشفت عن حالة العوز والافتقار التي يعانيتها أشرف ويصا من سوء معاملة زوجته وبالمثل غياب الأب في حياة أسماء الزناتي ومن ثم كانت علاقتها بجدها أقوى وصاحب تأثير في تشكيلها، فالأب تركها وعاش فيالخليج يجمع المال، في إشارة إلى مخاطر الهجرة خلف المال، وأيضا علاقة مازن بعصام شعلان واعترافه بالدور الذي لعبه في حياته " أنا من أسرة مصرية تقليدية أبي الأستاذ محمد زناتي يعمل محاسبا في السعودية منذ ربع قرن ... يستحيل أن ألوم أبي على الهجرة التي اضطر اليها كي ينفق علينا لكنه باستثناء المبالغ التي يرسلها لنفقاتي لم يؤثر في نشأتي اطلاقا " ³

2- صراع القيم

وفي الرواية، تمثيل لتيارات فكرية مختلفة، تناضل من أجل انتصار قيمها ومبادئها، سواء كانت صالحة أو طالحة. فهناك شخصيات تمثل الأجهزة السيادية التي لا تتورع عن

¹الرواية، ص19

²الرواية، ص48

³الرواية، ص39

ارتكاب أفظع الجرائم حفاظاً على مكاسبها، ومن ثم فإنها تقاوم التغيير بشتى السبل، لأنه يهدد وجودها. وهناك شخصيات تمثل الشباب الثوري بطبقاته المختلفة؛ البروليتارية والبرجوازية والأرستقراطية. ف «خالد مدني»؛ طالب الطب، عضو «الجمعية الوطنية للتغيير»، الذي استشهد خلال الثورة، هو ابن سائق، وهناك «دانية» ابنة «أحمد علواني» وهو رئيس جهاز سيادي، ممثلة الشباب الذين تخلوا عن مصالح طبقتهم من أجل مبادئ الثورة، والطبقة البرجوازية ممثلة في «أسماء زناتي»، ومعها «مازن السقا»، وهما يناضلان ضد قيم المجتمع الفاسدة، و «عصام شعلان»، هو نموذج لليساري الذي باع مبادئه ووصل إلى أعلى المراتب في الدولة، و «نورهان» المذبة الانتهازية، التي باعت ضميرها للشيطان، و «محمد شنواني» رجل الأعمال الفاسد، غير المعروف مصدر ثروته، والذي سخر إمكانياته من أجل القضاء على الثورة، و«حزب الكنية»، أي المتقاعسين عادة عن المشاركة السياسية؛ يتمثل في والدة أسماء ووالدها، ووحشية الشرطة يمثلها «هيثم عزت المليجي»؛ الضابط الذي برأته المحكمة من تهمة قتل الثوار، و «أشرف ويصا»؛ الثري، يمثل الأقباط ويكشف مشاكلهم في مصر، و«الشيخ شامل»، هو نموذج «شيوخ السلطان»، الذين يحرمون ويحللون وفقاً لما تطلبه السلطة السياسية " ان التعفف والاستقامة وتقوى الله خصال أصيلة في شخصية الشيخ شامل ، ها هم المريدون يتبعونه بفرحة الى حيث يلقي الدرس حول حمام السباحة " ¹.

شخصيات الرواية دائماً ما تعبر عن أفكار الكاتب المعروفة، وتنقل نيابة عنه على الورق. ويتجلى لنا على سبيل المثل، أن الأهداف التي أراد «أشرف ويصا»، من أجلها أن يكتب، كتاباً من دون ذكر اسمه، لفضح زيف المجتمع الذي يعيش فيه، تتوافق مع الأهداف التي كتب من أجلها الأسواني روايته " عندما يستعيد أشرف ويصا ما حدث في ذلك اليوم يحس بدهشة كان في شقة الدور الأرضي ومعه اكرام وشابان وثلاث بنات كانوا محاصرين

¹الرواية، ص322

تماما ... كان همه أن يحمي اكرام والبنات"¹. وكما أراد ويصا أن تكون نيرته ساخرة في الكتابة، رسم الأسواني شخصيتي اللواء علواني، والمذيعه نورهان، باللغة الساخرة اللاذعة نفسها، فكل ما يهمهما هو التدين الشكلي، بينما لا يتورعان عن ارتكاب أبشع الجرائم. وتُبرز الرواية الفارق بين جيل شباب الثورة الذي رفض العيش في «جمهورية كأن»، وناضل ضد الفساد، وبين الأجيال السابقة التي تعايشت مع الفساد، وارتضته أسلوباً للحياة. «أسماء زناتي»، ترفض القيود التي يفرضها المجتمع على الأنثى، باعتبارها سلعة، يتزوجها صاحب المال الأوفر، وعندما عُينت مُدرسة ورفضت إعطاء دروس خصوصية، حُوت إلى التحقيق، بينما نرى ممثلاً موهوباً مثل «أشرف ويصا» لا يؤدي إلا الأدوار الثانوية، لأنه رفض أن يتحول إلى قواد ليحصل على دور البطولة. هو لم يقاوم الفاسد، وعاش في حالة من الاغتراب النفسي، وجعل الحشيش ملاذه، وانغلق على نفسه، فصدمه جيل الشباب الذي كان على أتم الاستعداد ليضحى بنفسه من أجل مستقبل أفضل يسوده العدل والحرية، والمساواة " يا أستاذ أشرف سيبنا نريهم دول جايبين يقتلونا .

رد أشرف بحزم

ما دمت قبضت عليه يبقى في ذمتك ، ولو اذيته تبقى قلة شرف منك "²

ومن أكثر الشخصيات التي وفق الأسواني في رسمها؛ شخصية «عصام شعلان»؛ المناضل اليساري الذي سُجن غير مرة لانتمائه إلى تنظيم شيوعي، لكنه باع القضية بعدما فقد الإيمان بإمكانية أن يثور الشعب. وعلى رغم فساد شعلان المالي، إلا أنك لا تستطيع أن تكرهه، فهو صريح يسمي الأشياء بمسمياتها، من دون تجميل، يعطف على المهندس «مازن السقا» عضو حركة «كفاية»، ابن زميله المحامي الذي حبس معه، ويحسن معاملة سائقه «مدني». هو شخصية إشكالية تجمع بين الخير والشر، على عكس شخصيات أخرى مثل

¹الرواية ،ص28

²الرواية ،ص329

اللواء علواني وابنيه القاضي، والآخر الضابط في الحرس الجمهوري، أو المذيعة نورهان، أو الشيخ شامل، أو رجل الأعمال شنواني، الذين يمثلون الشر المحض، فيما يمثل مازن السقا وزينب الزناتي، وأشرف ويصا، وخالد مدني ودانية علواني؛ جانب الخير والحق دوماً " مصر بتغيير وما فيش تغيير من غير ثمن، ناس كثير دفعت ثمن الحرية لازم الأقباط يدفعوا زي بقية المصريين... النجاح موضوع نسبي " ¹. فرض التغيير ذاته حين وجد من يحتضنه ، شباب مثقف متحضر عرف بأن ما يأتي بالسلم لا يأتي بالحرب .

تطل علينا لوحة من بنات بحري لن تعرفها أبدا بنات الطبقة الراقية باختصار المرأة الشعبية هي المرأة وكل ما عداها مزيف ومصطنع تماما كالفرق بين الورد الطبيعية والبلاستيكية ... ماذا يحدث اذا دعوت خطيبتك الارستقراطية الى الغداء ².

يصور الكاتب الطبقة الاجتماعية في مصر من خلال النظر للمرأة الريفية على أنها تستحق أن يقال عنها امرأة حقيقية وليست لوحة زيتية مصطنعة مثلما تمثله المرأة في الطبقة الراقية يحاول أن يكشف عن الفرق الكبير الذي يخلقه ذلك التفاوت الطبقي والفكري .

3- الصراع السياسي الأيديولوجي

إن الاحتجاجات السلمية التي اجتاحت العديد من بلدان المنطقة العربية ، وعرفت باسم ثورات الربيع العربي ، كانت صرخة قوية ضد الظلم والتهميش والفساد السياسي ، وتعد هذه الثورة رمزا للحرية والتغيير السياسي على كثير من المستويات والأصعدة وقد ساهمت هذه الثورات في رفع الوعي بأهمية النضال وسط قطاعات كبيرة من الشباب والنساء والفئات الحاملة بالتغيير من أجل خلق واقع أفضل ، وضمان مستقبل أكثر ازدهارا ومثل أي حراك سياسي كانت هنالك قوى اجتماعية لها مطالب حقوقية أكثر خصوصية وتقاطعات مباشرة مع المطالب السياسية .

¹الرواية ،ص 368

²الرواية ص 26،

أصبحت الرواية ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع السياسي المضطرب وكان الموضوع الذي يتناوله جل الروائيين يتضمن القضايا السياسية سواء أكانت هذه القضايا مرتبطة بالاستعمار أو بالثورات العربية المعاصرة ، مما أدى بالمبدع أن يحدد موقفه السياسي من خلال أعماله الإبداعية هذا ما جعل رواية "جمهورية كأن " تتفاعل مع واقع تتعدد اتجاهاته الايديولوجية" .

أصبح الروائي ينتقل من الخطاب الروائي الى الخطاب الايديولوجي لأنه خطاب يقوم على توظيف النص الأدبي لصالحه هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ظهور الخطاب النقدي الذي تضمن ايدولوجية معينة يعمل على تأسيس الأدب وتوجيهه وفق رؤيا ايدولوجية ، مما أدى الى دفع النص الروائي الى الاهتمام بالهموم الاجتماعية واهمال اللغة التي كانت من أول اهتمامات الكاتب في عمله الأدبي ، فأصبح المضمون الاجتماعي يسيطر على النص .

نجد أن الرواية عكست ما تعرض له المجتمع بصيغة فنية حملت أثرا ايدولوجيا ، فالأيدولوجية عبارة عن منظومة أفكار وقيم تسعى الى تحقيقها جماعة ما ، أو مجموعة المواقف التي تدعو اليه وتدافع عنها وتستخدمها من أجل تحقيق أغراضها لذا يتسائل عن علاقة الفن بالواقع أي علاقة ما هو اجتماعي بما هو فني .

إن الخطاب الروائي مهما كان مضمونه لا يبتعد عن الايدولوجيا نظرا لقربه من الحياة الاجتماعية وما تتوفر عليه شخصياته من مواقف ايدولوجية ، فالأيدولوجية " نمط علاقات الناس ، عاداتهم أفكارهم وأخلاقهم "¹ وهذا يعني أن شخصيات العمل الروائي علاقة متينة اذ لا يمكن الفصل بينهما ، فكل رواية تحمل بداخلها بعدا ايدولوجيا تجسده في عاداتهم وأفكارهم ، وعيه فالخطاب الروائي هو تعبير عن رؤية العالم بصورة أو بأخرى ، لذا يتوجب على المبدع أن يبرز تلك الرؤية ويبلورها في أفضل صورة " كان رأي أشرف وبعض

¹محمد كامل الخطيب ، الرواية والواقع ، دار الحداثة ، بيروت ، ط1 ، 1981 ، ص108

الثوريين أن يظل المعتصمون في الميادين وينتخبوا لجنة عليا منهم تشرف على تنفيذ مطالب الثورة"¹.

نلمس في رواية " جمهورية كأن " تجسيد الروائي الأيديولوجية في روايته باعتباره مثقف ولديه وعي اجتماعي وثقافي وسياسي اتجاه قضية ثورة يناير ، فيصور الكاتب موقفه المؤيد من خلال أيديولوجيته التي تبناها في روايته من أجل تغيير الواقع والارتقاء به الى مستوى أفضل " ان الحكم على الأعمال الروائية حسب الآراء السابقة ينطلق دائما من الوظيفة السوسولوجيا ولأيديولوجية التي يبلغها النص الروائي " ² فكل كاتب لديه موقف أيديولوجي يريد أن يوصله الى القراء من خلال كتاباته ، فالرواية تحمل في طياتها واقع المجتمع الذي يعيش فيه الروائي ، لأن الإنسان ابن بيئته يتأثر بالمجتمع ويؤثر فيه " انه الان يفعل ما يريد وهو يحس ربما لأول مرة بأن حياته مفيدة لديه الان أيقونة يلوذ بها كلما أحس بتعب أو انتابته شكوك في جدوى ما يفعله"³

ان الايديولوجي التي حملتها الرواية تعكس موقف الكاتب الايديولوجي المؤيد للثورة ، حيث سعى الى تغيير الواقع من خلال أفكاره الايديولوجية " ان الرواية لا تعكس ايديولوجيات الواقع ولكنها تندرج هي نفسها في الحقل الايديولوجي ، لأنها مغامرة فكرية في خضم الصراع الإنساني "⁴ فالنص الروائي هو جزء من الحياة التي يعيشها الفرد في داخله أو ما تعيشه الجماعة من مخيلة الروائي

والايدولوجيا التي يجسدها الكاتب في روايته هي مناقضة لايدولوجية الواقع ، لأنها تصور لنا رؤية الكاتب لذلك الواقع وصراعه " الايديولوجيات التي تستنتجها بعد قراءة الرواية في

¹الرواية ، ص330

²علال سنوقة ، المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية ، نشر رابطة كتاب الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، جوان

2000،ص27

³الرواية ، ص333

⁴المصدر نفسه ، ص39

مختلف أبعادها الايديولوجية المتصارعة وهي المكونة لرؤية الكاتب¹ . سيادتك من حقا
طبعا تكون ضد الرئيس مبارك ولو أن فيه ناس كثيرة رأبها أنه ما يستهش منا لي عملناه
فيه²

لم تكن الحرية وحدها هي الدافع وراء الثورات العربية فالموضوع ليس أن هناك أناسا من
العامة ... تستثيرهم كلمات حرية ومساواة ويرغبون بالنتيجة في أن يقولوا كلمتهم في شؤون
الحكم مع أنها ليست من اختصاصاتهم³ ولم يكن الحديث السياسي هما أو تحليلا عميقا
للسياسات المتبعة فالأصل أنه " لا يكفي أن تكون هنالك سياسة ، بل لا يكفي أن تكون
هنالك قوانين تنظم الحياة الاجتماعية ، بل يجب أن يكون هنالك نمط لشكل محدد للمجتمع
4"

وهذا بالضبط ما بحثت رواية جمهورية كأن عن صورته وأشكاله ، حيث نرى الكاتب عمد الى
تصوير النظام القائم في البلاد بصورة دقيقة ، أبانت عن أغلب مظاهرها ، ففي المجتمع
الروائي الذي خلقه الكاتب نرى أن النظام الحاكم هو نظام أقرب الى الاستبدادي منه الى
التعددي الديموقراطي " مبارك آذى البلد وحتى الآن لم يحاسب لازم يتحاكم على الجرائم اللي
ارتكبها في حق الشعب⁵ . فتداخل الرواية مع الحدث السياسي هنا ودخولها طرفا
أيديولوجيا في المعادلة لا يعد عيبا أو إغراقا في الواقعية ف " الهوية الأيديولوجية هي دخوله
في الصراع ومؤشر على السياسة ، الكاتب معنى ، طبعا بهذه الهوية ، وان نجح فنيا
بتلبسها لبوس الحيادية وتوصل تقنيات الخفاء⁶ وهنا نجد أن الروائيين العرب قد اتخذوا
رواياتهم معبرا فجا للحديث عن الأيديولوجية السياسية اذ استثنينا بعض المواقف الليبرالية من
الرواية ، فالرواية تنطلق من رفضها للخلل السياسي القائم في المجتمع وتسعى الى تصويره

¹المصدر نفسه ، ص40

²الرواية ، ص335

³رانسيير سياسية الأدب ، ص77

⁴المصدر نفسه ، ص07

⁵الرواية ، ص337

⁶العالم والعيد وسلمان ، الرواية العربية بين الواقع والأيديولوجية ، ص27

وهنا بالضبط تبدو الرواية وهي تتورط في أتون السياسة وتغدو الحيادية شيئاً صعب المنال ، فالرواية ترفض القهر السياسي والإرهاب الفكري والتعذيب المادي والمعنوي وتنطلق من هذا الرفض الفني المصور لأزمة الحرية الى المناداة بالحرية والتطلع الى تجاوز هذا الواقع المدان الى مستقبل أفضل¹

وهكذا تم الانتقال من خطاب سياسي ثوري من أجل الاستقلال السياسي الى خطاب سياسي معارض لنظام السلطة في المجتمعات العربية² فالثورة العربية جاءت استجابة للواقع السياسي العربي فالمواطن العربي يعاني معاناة شديدة الوطأة من ترهل أغلب الأنظمة العربية وخاصة المصرية الحاكمة المسؤولة عن الهزائم التي لحقت بالمجتمع المصري ، ومن تسليط آليات قمعها على رقاب الجماهير وتغييبها للديموقراطية وسلبها للحريات العامة وملاحقتها للمتقنين التقدميين على أرض الوطن وفي بلاد المنفى .

ولقد أصبحت السياسة حاضرة في " كل الخطابات والفنون والأجناس الأدبية وتتمظهر بجلاء ووضوح في فن الرواية التي تعكس نثرية الواقع وصراع الذات مع الموضوع والصراع الطبقي والسياسي والتفاوت الاجتماعي وتناحر العقائد والادبيولوجيات والتركيز على الرهان السياسي من خلال نقد الواقع السائد واستشراف الممكن السياسي³ . ولذلك جاءت رواية " جمهورية كأن " تطرح المشاكل السياسية بالدرجة الأولى مرتكزة في ذلك على عدة وظائف :

1- اللجوء الى السرد المفصل للوقائع والأحداث السياسية ونقدها

2- توضيح حقائق سياسية

3- نزوعه الى التسجيلية والواقعية للإقناع

" قالت نورهان يا فضيلة الشيخ ماذا تقول للمتظاهرين ؟

¹ عطية أحمد محمد ، الرواية السياسية ، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، دت ، ط1 ، ص17

² علاء سنوقة ، المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية ، ص 41

³ جميل حمداوي ، الرواية السياسية والتخيل السياسي ، موقع ديوان العرب ، 2013 ، ص1

بدأ الغضب على وجه الشيخ وصاح :

أقول لهم هذه مؤامرة ماسونية دبرها اليهود حتى يفتتوا المسلمين عن دينهم . أناشد أبنائي الشباب في ميدان التحرير انتم قد غرر بكم بنو صهيون ... أيها الشباب عودو الى بيوتكم¹ نجد أن الكاتب عمد الى توثيق تسجيل تلفزي لتأثير علماء الدين على سير الثورة التي اندلعت في الربيع العربي وكيف ساهمت تلك التصريحات في تباين الأفكار والآراء التي أثرت على الحراك الشعبي السلمي المطالب بالتغيير ومحاولة النظام زرع بلطجية لتحويل ميدان التحرير وتفرقة المتظاهرين السلميين .

" التمرد والمظاهرات شيء غريب على طبيعة المصريين احنا شعب مطيع طول عمره يحترم قيادته حتى لو غضب منها اللي يحصل بيدان التحرير شيء شاذ عن العقلية المصرية"² وبهذا فان الرواية جاءت عبارة عن ترجمة لأحداث ووقائع سياسية يصوغها الكاتب في لوحة فنية

أفرزت ذلك التفاوت الطبقي الذي سيطر على كافة الرواية مشكلا حبكة قصصية تعبر عن المجتمع المصري في تلك الفترة الدامية والشاحبة .

ثانيا: الانحراف الاجتماعي ومظاهره في الرواية

باعتبار الانحراف " كل فعل أو نشاط أو تصرف فيه خروج عن قيم ونظم وتقاليد المجتمع الأصلية أو عن القيم الدينية ، او معايير السلوك السوي"³ . ففيه من الضعف مالا يخفى ، فالفارق بين القيم الدينية والقواعد الدينية ضبابي ، بل ان كثيرا من المفكرين لا يفرقون بينهما ، كما ان القيم الخلقية لا تفترق كثيرا عن معايير السلوك السوي ان لم تكن هي ذاتها .

¹الرواية ،ص220

²الرواية ،ص176

³الشيباني ، دور المرابي ورجل الاعلام والمرشد الديني في الوقاية من الجريمة والانحراف ،ص21

1- الانحراف الفكري

وهو الخروج عن حد الوسطية والاعتدال المتعارف عليه لدى المجتمع بدافع فرضيات ذهنية تجدد ماضيا أو تبتلع مجهولا ، ويلحظ على هذا المفهوم عموميته ، وهو أمر مقصود ، ذلك أن مسمى الانحراف الفكري واقع في كافة المجتمعات البشرية ، ويخضع تحديد ذلك الانحراف للمعيار السائد في كل مجتمع سواء كان دينيا أو عرفيا أو فلسفيا أو قانونيا أم منها جميعا ، وحيث ان الفكر الأخلاقي يقرر أن الخير والشر هما قضيتا الاستقامة والانحراف على وجه الاجمال ، فان من يطرق مليا ويتأمل واقع الاتجاهات الفكرية في رواية "جمهورية كأن" يجدها مشارب شتى واتجاهات تكاد متناقضة " ان كل انسان لا بد أن يسلم بأن قانونا يراد له أن يكون قانونا أخلاقيا ، أعني قاعدة التزام ، لا بد أن يحمل طابع الضرورة المطلقة ... وفضلا عن هذا فان قاعدة الألتزام هنا لا ينبغي أن تلتمس في طبيعة الانسان ولا في ظروف العالم الذي وضع فيه بل انه لا بد من البحث عنها بطريقة قابلة في تصورات العقل الخالص وحدها "1 الا ان كلماته وتفسيراته للعقل الخالص بددت ذلك التصور وكشفت عن مقاصده الحقيقية " الموضوع لا علاقة له بحرية الراي هؤلاء بلطجية مسلحون جاؤوا ليقتلونا

2»

تغير ذلك المجتمع المصري البريئو كشف عن عقول تدبر المكائد وتحاول تشويه سلمية الثورة.

2- الانحراف الأخلاقي

ان الاهتمام بالمسألة الأخلاقية ليس وليد الفترة الحديثة ، أو بسبب ما لحق بالإنسان المعاصر من سيطرة وحب التقنية وإعلان الحروب والقفز على كل ما أخلاقي بل اننا نجد الاهتمام بالناحية الأخلاقية منذ أقدم الأزمنة فالأخلاق تعني " دراسة السلوك الفردي المؤدي

¹كانط ، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، ص25

²الرواية ، ص249

الى اكتساب الفضائل وتحصيل السعادة لكل فرد على حدى ، بينما تعنى السياسة بدراسة كيفية تحصيل السعادة للجميع بأسره فغاية الأخلاق والسياسة اذن واحدة " . للأخلاق شأن كبير يشبه دور علم .

يرى الباحث صالح إبراهيم الصنيع أن من أهم أسباب الانحراف يعود الى عدد من العوامل

4- عوامل تعود الى الفرد : كالكفر والنفاق واتباع الشيطان

5- عوامل تعود الى البيئة : الوسط الاجتماعي كالاسرة ، والأصدقاء ، والمجتمع¹

ونجد مجموعة الانحرافات الأخلاقية في رواية جمهورية كأن تحضر بقوة وذلك لما تحمله من شحنة عدائية بين شخصيات الطبقة التي خلقتها الرواية " أسماء ، سببت لي جريمة كشوف العذرية حالة حزن لا أستطيع أن أصفها " ² يكشف الكاتب عن فضاة التعذيب النفسي الذي تسببه الطبقة العليا في البلاد بالطبقة السفلى ونجد الأسويوني في كلامه عن الانحراف الأخلاقي " ... كل الاعتداءات على الكنائس مدبرة من أجهزة الأمن ، عندنا أدلة كثيرة كل الكنائس انحرقت بالطريقة نفسها ، السيناريو نفسه ، الشرطة العسكرية تتسحب من قدام الكنيسة والنور ينقطع وبعدين يوصل البلطجية ويحرقوا الكنائس براحتهم " في هذا المشهد نجد بأن النظام هو من يحاول اعداد سيناريو موازي للثورة لجعلها انبثقت عن مجموعة من البلطجية الذي يرهبون الناس ويفعلون بهم جرائم كثيرة قصد جعلهم يتراجعون عن الحراك والثورة .

¹ صالح إبراهيم الصنيع ، التدين علاج الجريمة ، الرياض ، دار الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، 1993 ، ص85
² الرواية ، ص356

ثالثاً: انتهاك المحظور الاجتماعي

يعد ثلاثي " الجنس ، الدين ، السياسة " من أهم المدارات التي يدور في فلكها السياق الطبيعي للحياة ، وهو ثلاثي جدلي قديم قدم الحياة الإنسانية فلا تكاد حضارة من الحضارات الإنسانية تخلو من ثلاثي الجنس والدين والسياسة .

ويبدو أن رواية جمهورية كأن استطاعت أن تفتك لها مكانا من الأعمال الروائية التي وظفت وطرحت بشكل أو آخر ثلاثية الجنس والدين والسياسة ، اذ نجح علاء الأسواني في طرح الموضوع بجرأة لم تنحصر بالعمق السردى للرواية انما بانفتاح الرواية على عدة قراءات فلسفية وفكرية والأسواني حين يحاول الحقيقة " يجد نفسه مضطرا الى الكشف عن حدود الأيديولوجيا التي يكتب داخل نطاقها ، انه مضطر الى الكشف عن ثغراتها وفجواتها وصمتها¹ حتى وان اجتهد الكاتب في مدارات أيديولوجية خلف قناع الحوارية مثلما ذهب اليه باختين والذي أكد أنه لا بد من تحليل عميق وجاد للكلمة كدليل مجتمعي ، حتى يمكن فهم اشتغالها كأداة للوعي وتستطيع الكلمة بفضل هذا الدور الاستثنائي الذي تؤديه كأداة للوعي أن تستغل كعنصر أساسي مرافق لكل ابداع أيديولوجي كيفما كان نوعه² ومهما كان اللون الذي يتوشح به .

وعليه يمكننا أن نفهم المنطلقات الفكرية التي انطلق منها الأسواني في روايته "جمهورية كأن"

فهو يركز على الجنس انطلاقا من فكرة أن العمل الإبداعي يخزن في الجسد دلالات التمرد على عباءة العرف الاجتماعي ويركز على الدين انطلاقا من فكرة أنه يمثل عند بعض الناس عطاء يتدثرون به لفعل ما شاعت أهواؤهم ويركز على السياسة انطلاقا من فكرة أنها تمثل المؤسسة المهيمنة والتي لها القدرة على مصادرة حرية التفكير وثقافة الاختلاف .

¹مصطفى الموقين ، تشكيل المكونات الروائية ، دار الحوار للطباعة والنشر ، سوريا ط1، 2001 ، ص43
²مخانيباختين ، الكلمة في الرواية ، ترجمة يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا ، ط1 ، 1988 ، ص110

أ/ الدين :

تكاد جل روايات علاء الأسواني تدور حول قضايا متعلقة بالدين أساسا حتى وان لم يكن يقصد مناقشة قضايا الدين الا أننا نلمس ونحن نقرأ للأسواني حضور القضايا الدينية لأن " الانسان المتكلم في الرواية هو دائما صاحب أيديولوجيا بقدر أو بآخر وكلمته هي دائما قول أيديولوجي ، واللغة الخاصة في الرواية هي دائما وجهة نظر الى العالم تستدعي قيمة اجتماعية والكلمة قولاً أيديولوجيا هي تصبح موضوع تصوير في الرواية " ¹ نجد السواني يقول " المظاهرات دي عاملينها الاخوان وهدفهم يستولوا على الحكم " ² . اشعال فتيل الاشاعات بشأن الطائفة التي تمثل الانقلاب الذي حصل في مصر بأنهم يثيرون المشاكل لا غير وهدفهم هو الاستلاء على السلطة بدل التغيير " دار بيننا حوار طويل لم يكن مقتنعا بفكرة الثورة لكني أحسست بأنه يحترم حماستي على نحو ما هل تعرف تلك الشخصيات اللطيفة التي ترفض رأيك لكنها لا تواجهك برفضها أبدا...الاستاذ أشرف ويصا من هذا النوع " ³ " هل توجد حياة أخرى فعلا بعد الموت ؟ لم يمت أحد وعاد ليخبرنا بما حدث ألا يمكن أن يكون الموت مجرد انطفاء للوعي يتحول الجسد بعده الى شكل آخر من المادة ؟ هذه الآراء لا يصارح بها الا بعض رفاقه الاشتراكيين القدامى في جلسات الشراب يقول ساخرا : هناك مليون شخص عاقل من طائفة الرستيفارية يؤمنون بأن هيلا سياسي امبراطور الحبشة هو الله نفسه ويعبدونه بتقان واخلاص " ⁴ " المصريون اذ يتقدمون في السن يتجهون الى الدين طلبا لحسن الختام " ⁵ يكشف الأسواني عن ذلك النفاق الذي يحمله الرجل المصري في نفسه من نفاق حين يلجأ للدين عندما يدرك قرب أجله وأن حياته السابقة كانت فاسدة ، ربما صف طبقة لجأت للدين حين أدركت بأن الموت يهدم اللذة .

¹مخاتيباختين ، الكلمة في الرواية، ص32

²الرواية ، ص172

³الرواية ص 188

⁴الرواية ، ص92

⁵الرواية ص92

ب/ السياسة

المشهد السياسي الذي خلقه علاء الأسواني و الذي يوحي بذلك الاضطراب الذي صنعته ثورة يناير كان "التنحي قرار نهائي اتخذه الرئيس مبارك بنفسه حفاظا على مصر، سينقل السلطة الى المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وسيظل الرئيس مبارك معززا مكرما ولن يستطيع مخلوق أن يمسه " ¹ دفعت ثورة يناير بالرئيس مبارك للتنحي وذلك حفاظا على الأرواح التي ستزهق والكارثة التي ستحل في الأرض الطيبة كل يوم يتم اختراع أكاذيب جديدة من أجل اقناع الناس بأن الثورة مأمرة ، هل تعلمين بأن القنوات الخاصة التي افتتحها رجال الأعمال تخسر الملايين ... لإجهاض الثورة " ² لم يفلح النظام في تظليله للرأي العام وذلك باختراع الكثير من الإشاعات والأكاذيب قصد ايهام الناس بالتراجع موافقهم المطالبة بتنحي مبارك والتغيير السريع والجذري لكل رؤوس الفتنة والفساد قدرنا أن نخوض معركة ضد نظام جبار إجرامي يمتلك الإعلام والجيش والشرطة ، بينما لا نملك الا إخلاصنا وأحلامنا واستعدادنا للتضحية من أجل الثورة " ³ اندلعت الثورة وكانت بداية عهد جديد بفضل شباب وبنات مصر الذين لم يتحملوا ذلك الواقع المزري الذي صنعه النظام بسبب سياسته الفاشلة والصاق التهم بالإخوان فقط .

الإخوان المسلمون كانوا دائما نموذجا للمعارضة الوطنية تعلي مصلحة الوطن على أي مكسب سياسي " ⁴ كان كل شيء منظما في الميدان هنالك لجان من الشباب والبنات لتأمين الميدان تنتشر على المداخل تفتش الداخلين من الجنسين " ⁵ بفضل جهود الشباب تحرك ميدان التحرير بهم نحو الفوز المستحق على نظام البلطجية كما يسميه علاء الأسواني من خلال رواية كأن ذات الطابع السياسي التحرري .

¹الرواية ، ص159

²الرواية ، ص428

³الرواية 438

⁴الرواية 262

⁵الرواية ، ص238

ج/ الجنس

يعد حضور الجنس عنصرا حيويا في الأعمال الإبداعية ذلك أن الأساطير القديمة والكتب السماوية جميعها تعرضت له ، ولم ينقص ذلك من مهابتها ولا من قداستها واجلالها ، وعنصر الجنس في الرواية ليس هامشيا ، ولكن قصور النظرة ، وسوء المعالجة الذي نجده في كثير من الأعمال الروائية جعل الجنس يخرج به عن وظيفته الرئيسية في الحياة الى مجرد عبثية غريزية تصف الجسد ، ورصد العلاقة الحميمية وهو ما جعل تلك الأعمال الروائية تسقط في هاوية الابتذال بدعاوي كثيرة منها الحرية والفن للفن والأدب للأدب حتى وان لم تكن هنالك رسالة يتضمنها " شخصياتهم التي تنتهك المقدسين : الديني والاجتماعي على أساس أنها لا تمارس ذلك بوصفه مدنسا ، بل بوصفه جزءا من منظومة الوعي التي تصدر عنها هذه الشخصيات " ¹ . وكثير ممن يرددون هذه الشعارات يسعون الى تقليد الغربيين في ملء رواياتهم بمقاطع جنسية قد تحط من قيمة العمل الفني بدل أن ترفعه .

" يا معشر الرجال ...

من لم يعشق خادمة لم يعرف العشق

أنا مثل معظم الأزواج في مصر ، تعرضت للخديعة عندما أمارس الجنس مع زوجتي ، أحس كأنني آكل سندويشا محشوا بمسحوق الصابون ، مهما أكن جائعا فستعافه نفسي بعد القضة الأولى بعد أن بلغت الخمسين ، انقطعت تقريبا عن مضاجعة زوجتي لأنها استراحت لأنها لم تحب الجنس قط ولم تمارسه الا في أضيق الحدود بعد أن تستنفذ كل الأعذار الممكنة سأقدم في كتابي تجرّتي مع الخادّات لعلها تفيد ملايين الأزواج " ² . نجد أن الراوي يحاول التمرد على الحلال لأنه سهل ومستساغ ، فيحاول البحث عن مخارج سهلة

¹ نضال صالح ، المغامرة الثانية ، دراسات في الرواية العربية ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، ط1 ، 1999 ، ص143 ،
² الرواية ، ص27

لفعل الجنس دون أي مشاكل تسبب له القطيعة مع زوجته ، اختار الخادمة لأنها فريسة سهلة يمكن شراؤها بدرهيمات قليلة

" الخادمة هي الحل "

ماذا يريد الرجل أكثر من أنثى شهية تقيم معه بالبيت نفسه ، يستمتع بها متى شاء ؟

يضاجعها مباشرة بلا لف ولا دوران ولا تضييع وقت في مكالمات ولقاءات عاطفية خائبة ، امرأة حقيقية تقدر قيمة الجنس ، وتستمتع به وتتوق اليه ... ألم يكن أجدادنا يشترون المحضيات من أجل المتعة الجنسية ؟ ألم تكن الزوجة الشرعية في ذلك العهد تهدي زوجها محظية جميلة فيشكرها الزوج على هديتها ؟¹ يحاول الكاتب تبرير فعلته في اتخاذ سبيل آخر لقضاء المتعة بكل سهولة بايراد مجموعة من المبررات التي استشهد بها " اذا تخلصنا من عقدة الطبقة المتوسطة فان علاقة الزوج بالخادمة تعزیه عن توترات علاقته بزوجه وتؤدي بالتالي الى استقرار الأسرة "² . يمكن رؤية مدى الانحراف الذي يوقع فيه الكاتب باتخاذ الجنس في اطار المتعة الى استقرار الأسرة وتمسكها وهو الأمر الذي حاول الدفاع عنه بدل الزجر عليه .

¹الرواية ، ص27

²الرواية ، ص28

الفصل الثاني

أولاً: الهيمنة وتفكيك الخطاب السلطوي في الرواية

1- مظاهر الاستبداد السياسي

لقد أصبحت السياسة محورا فكريا في الرواية المعاصرة ، مهما تنوعت مواضيعها وتعددت مواضيعها الاجتماعية والواقعية وجنحت الى الحداثة الشكلية والتنوع الفني ، فان الرواية تعبر عن الأطروحة السياسية اما بطريقة مباشرة واما بطريقة غير مباشرة "ان السياسة حاضرة في كل الخطابات والفنون والأجناس الأدبية ، وتتمظهر بجلاء ووضوح في فن الرواية التي تعكس نثرية الواقع وصراع الذات مع الموضوع والصراع الطبقي والسياسي والتفاوت الاجتماعي وتناحر الحقائق والايديولوجيات والتركيز على الرهان السياسي من خلال نقد الواقع السائد واستشراف الممكن السياسي " ¹ كما تتبني الرواية على بلاغة التكرار لتحريك الشعور السياسي والايهام الثقافي .

لم تكن الحرية وحدها هي الدافع وراء الثورات العربية فالموضوع ليس أن " هناك أناسا من العامة... تستثيرهم كلمات حرية ومساواة ويرغبون بالنتيجة في أن يقولوا كلمتهم في شؤون الحكم مع أنها ليست من اختصاصهم " ² . ولم يكن الحديث السياسي هما أو تحليلا عميقا للسياسات المتبعة فالأصل أنه "لا يكفي أن تكون هناك سلطة كي تكون هناك سياسة ، بل لا يكفي أن تكون هناك قوانين تنظم الحياة الجماعية بل يجب أن يكون ناك نمط لشكل محدد للمجتمع " ³ . وانما جاءت المفارقة وسخرية الوضع القائم في بلدان الربيع العربي كغطاء استراتيجي لمطالبات الشعوب الثائرة لذلك فان هنالك قضيتين داخليتين انعكست على انتاج الأدباء العرب من المحيط الى الخليج وهما القهر السياسي والظلم الاجتماعي .

¹ الماضي شكري عزيز ، الرواية والانتفاضة نحو افق نقدي جديد ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ، ط1 ، 2005 ، ص112

² مصطفى الموقين ، تشكيل المكونات الروائية ، دار الحوار للطباعة والنشر ، سوريا ط1 ، 2001 ، ص45

³ مخائيل باخطين ، الكلمة في الرواية ، ترجمة يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا ، ط1 ، 1988 ، ص15

وهذا بالضبط ما بحثت رواية جمهورية كأن عن صورته وأشكاله فقد عمد الى تصوير النظام المستبد في البلاد بصورة دقيقة أبانت عن أغلب مظاهرها ، ففي المجتمع الروائي الذي خلقه الكاتب نرى أن النظام الحاكم هو نام استبدادي ونستشف ذلك من حديث "

انتم ضد مبارك وهم يحبون مبارك أليسوا مواطنين مصريين مثلكم ومن حقهم أن يعبروا عن رأيهم ... أين حرية الرأي التي تطالبون بها قلت له

الموضوع لا علاقة له بحرية الرأي هؤلاء بلطجية مسلحون جاؤوا ليقتلونا ... ونن متظاهرون سلميون وواجب على الجيش أن يحمينا " ¹ .

أي شيطان وسوس لبعض المصريين ودفعهم الى سلوك منافي تماما لطبيعتهم ؟ المصري لا يعرف الثورة ولا يفهمها واذا تورط فيها فسرعان ما يخذلها ويكرهها " ² .

2- سلطة الرقيب الاجتماعي والرقيب السياسي

أ- الرقيب السياسي :

تجربة الرواية المصرية مع الحرية التي حاولت ثورة يناير تحقيقها تبدو من أوجه كثيرة خصوصية تتضمن سياق الأدب عموماً، فالروائي هو الأقرب من غيره إلى المؤرخ، وإذا كان جزءاً من معركة الديكتاتورية يقوم حول رواية التاريخ وتفسيره، فإن الروائي هنا يكون داخلياً شاء أم أبى في مواجهة غير متكافئة مع وجهة نظر رسمية حول التاريخ معقدة وغير قابلة للنقاش.

هذا الأمر لا يواجه الفنان التشكيلي أو الشاعر أو الموسيقي بالحدة نفسها، وهذا ما يجعل الرواية أكثر الأجناس الإبداعية رهافة تجاه مساحة الحرية المتاحة هناك محرمات للديكتاتورية يعرفها الروائي، ولكن، ليس هنالك حدود واضحة لهذه المحرمات، وليس هناك

¹الرواية ، ص249

²الرواية ، ص268

بروتوكول يضمها يعرفه الروائي ويتحاشى خطوطه الحمراء. وبين اندفاعية هذا الروائي وتوقه لاغتراف اكبر مساحة من الحرية لكتابة الرواية، وقلقه من ملامسة تخوم المحرمات تكتسب الرواية جزءا مهما من توترها الإبداعي، ليشاكس الروائي بهذه الحالة المؤرخ الرسمي فيدخل من الأبواب الخلفية للتاريخ ومن خرومه وشقوقه ونوافذه المعنوية، منجزا صورة عن زمنه ضمن رهافة الفن وزئبقيته لا يستطيع المؤرخ الرسمي نفيها أو إثباتها.

المخيلة أحيانا تمنح وسيلة لقول ما يعسر قوله، أو ما لا يمكن أن يقال (بسبب ديكتاتورية السلطة أو ديكتاتورية الثقافة). هكذا يفلسف من ضاقت به آفاق الكلام ليغدو ما حرم عليه (من الكلام) هدفا للقول بداهة، هدفا محترما وقدسيا.¹

ضمن هذه الصورة يغدو سلب الديكتاتورية (شرط أن لا تكون قادرة على ضبطك متلبسا) شيئا يستحق الإخلاص للكتابة، وهدفا جميعا، ينوب الكاتب فيه عن الصامتين المضطهدين، حتى وإن لم يفهم هؤلاء (الصامتون المضطهدون) ما يقوله الكاتب، فالمهم أن لا تفهم السلطة حقيقة ما نقول! هنا غدت المخيلة منجماً للكتابة، شيئا يعوض عن غياب الواقعي المؤطر بتاريخ ومحيط اجتماعي استولت على معناه النهائي سلطة غاشمة.

لم يكن أمام الروائي سوى طريقين.. المخيلة أو التاريخ البعيد الذي لا تملك السلطة حضورا فيه، ما لم يتجاسر الروائي لتشريح هذا التاريخ خارج المخطط العام الذي ترتضيه السلطة.

الدولة يعني أمن الدولة والمخابرات العامة والمخابرات الحربية والشرطة والجيش والاعلام والقضاء كلها مؤسسات وولاؤها الوحيد للرئيس².

¹ جان بيلمان ، التحليل النفسي للأدب ،تر: حسن المودن ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 1997، ص88
² الرواية ، ص 223

ب - الرقيب الاجتماعي:

جاءت الاضطرابات السياسية الأخيرة والتي تسمى بالربيع العربي تعبيراً عن المجتمع الذي عاش خذلانا وهزائماً على نحو متواز في العهد الأخير ، لذلك انشغلت الرواية العربية بالارتكاز على المجتمع في بنيته الداخلية وتشابك علاقاته ومآل الأحداث فيه فعلاقة الرواية بالمجتمع مثار بحث عميق وجدل قديم في شكله ونوعه ، يقول جان بيلمان نويل " ان الأدب يقدم وجهة نظر حول واقع الانسان ووسطه وحول الكيفية التي يدرك بها الانسان هذا الوسط والروابط التي يقيمها معه ¹ وهذا الوسط الذي يذكره بيلمان هو المجتمع الذي يعيش فيه ، وكما يقول شوقي ضيف : " ان الأدب حقيقته انما هو تعبير عن المجتمع وكل ما يجري فيه من نظم وعقائد وأفكار " ² ويؤكد ذلك قول لوكاتش " التتميط منسوب بمهارة في الكتابة الى التطورات الاجتماعية والتاريخية " ³ ومن هنا نشأ علم اجتماع الأجناس الأدبية ، لأن الرواية تمثل مواقف وأفعالا اجتماعية وتاريخية وان مساحتها المرجعية وضوحا من الفنون الأخرى .

لذلك لا عزو أن تتحو رواية جمهورية كأن أن تحدثت وطالبت بالربيع العربي الى طرح المكان كأساس وبنية لحدوث الثورة ، فقد كانت معظم محاولات التبئير داخل الرواية العربية الحديثة مركزة على مشاكل هذا المجتمع من الداخل من خلال النظر الى شبكات العلاقات الاجتماعية وما آلت اليه . الموضوع لا علاقة له بحرية الرأي هؤلاء بلطجية مسلحون جاؤوا ليقتلونا ... وبن متظاهرون سلميون وواجب على الجيش أن يحمينا " ⁴ المجتمع ذلك يفرض سيطرته على الميدان ، عندما تتباين الأفكار فلا تعلم كيف تصبح الحالة الطبيعية في التوتر ومحاولة فرض الأمان .

¹ جان بيلمان ، التحليل النفسي للأدب ، تر: حسن المودن ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 1997 ، ص 89

² الماضي شكري عزيز ، الرواية والانتفاضة نحو افق نقدي جديد ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2005 ، ص 43

³ جورج لوكاتش ، معنى الواقعية الاشتراكية ، تر : أمين العيوطي ، دار المعارف ، د ت ، ص 152

⁴ الرواية ، ص 249

3- الثورة والنزوع الى التغيير

عرضت روايات الربيع العربي لمظاهر الثورة من خلال تحليل نماذج من الوعي الفكري والسياسي في مجتمعاتها الروائية ، أظهرت كما نوعيا من التناقضات وأنشأت ثنائيات واضحة المعالم بعيدا عن ثنائية السياسة الأزلية بين اليسار واليمين ، وفق معدل شبه ثابت لهذه الثنائية أو تلك في كافة المجتمعات الروائية ، مما كان له الأثر الواضح في اظهار توجهات المجتمع في المراحل الأخيرة وما سبقها وما يمكن أن يحدث تاليا على الأقل من وجهة نظر خالقيها .

وواقع الأمر أن وجهة النظر الخاصة بالأدب هي التي تضعها الرواية مقابل وجهة نظر المؤرخين، الذين كانوا دائما يكتبون المعركة من جديد ما ان تنتهي¹ . فالأدب ليس مؤرخا تقليديا بل انه المؤرخ الأكثر مصداقية ، ذلك أنه يؤرخ للشعور والتطلعات المصاحبة للحدث الذي يثبته المؤرخ ، فلا يكتفي بالحدث بل يعيد رسمه وفق صور ورؤى لا تبتعد عن الحدث نفسه بقدر ما تعمقه وتعطيه الأبعاد المعرفية التي يستحقها .

" قدرنا أن نخوض معركة ضد نظام جبار اجرامي يمتلك الاعلام والجيش والشرطة ، بينما لا نملك الا اخلاصنا واحلامنا واستعدادنا للتضحية من أجل الثورة "²

ثانيا: الجندر والحركة النسوية

لقد استخدمت كلمة "جندر" منذ أكثر من عشر سنوات وأصبح استعمالها يتزايد في جميع القطاعات ولقد اتفقت مجموعة الخبراء على تعريف النوع الاجتماعي "الجندر" على أنه اختلاف الأدوار والعلاقات والمسؤوليات والصور ومكانة المرأة والرجل والتي يتم تحديدها اجتماعيا وثقافيا عبر التطور التاريخي لمجتمع ما ، وكلها قابلة للتغيير "³ . " مفهوم الجندر

¹ رانسبير ، سياسة الأدب ، تر : سهيل أبو فخر ، الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق ، ط1 ، 1998، ص86

² الرواية 438

³ عصمت محمد حوسو ، الجندر الأبعاد الاجتماعية والثقافية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2009، ص25

يعود الى أهميته في تنظيم علاقات عدم المساواة بين الجنسين ، في حال كانت الفروق البيولوجية تؤدي الى عدم المساواة الجندرية فهو يعد هام جدا يتم عليه توزيع القوة والامتيازات في المجتمع " ¹ . فمفهوم الجندر يحاول خلق نوع من التوازن بين الخاص الذي ينطلق من دور المرأة في الأسرة وبين العام الذي ينطلق من دورها في الوظيفة العامة أو في المجتمع .

ومنه يكون الجندر أساس النظرية النسوية المعاصرة ، فقد تبنته مفكرات الحركة النسوية في النصف الثاني من القرن العشرين ساعين للتفريق بينه وبين الجنس ولقد صاغ مفهوم الجندر عالم النفس "روبرت ستولر" لكي يميز المعاني الاجتماعية والنفسية للأنوثة والذكورة عن الأسس البيولوجيا للفروق الجنسية الطبيعية التي خلقت مع الأفراد ، وقد أدى استخدام مفهوم الجندر الى انبثاق نوعين من التنظير : الأول يقول بوجود ماهية ثابتة لكل جنس وبتأثير العوامل البيولوجية على الطبيعة البشرية ويمثل هذا الاتجاه : ماري دالي ، مارلين فراي ، والثاني يرفض وجود الماهية الثابتة ويؤكد تأثير العوامل الاجتماعية على الانسان ويمثله كل من جوليات ميتشل ، سندرا بارتيكي ، وقد غالى كل اتجاه في تقديره تأثير عامل واحد على سلوك الفرد ، فالاعتقاد بحتمية بيولوجية أدى الى المغالاة في تعظيم الصفات الأنثوية وفي تقديم جسد المرأة الى درجة اختزال المرأة في حدود الجسد ، واختزال الجسد في بعده الجنسي ، والثاني بالغ في تقديره الاجتماعي وفي تفسير الفروق الطبيعية والنفسية والفزيولوجية والبيولوجية بين كل من الجنسين باختلاف الاجتماعي والسياسي ² .

تعتبر الصورة هي المعيار الأساسي لنقل الأحاسيس والتجارب الداخلية للكاتب بكل صدق وأمانة ، فتظهر هذه الصور من العالم الباطني الى عالم الواقع والحقيقة " فالصورة

¹المصدر نفسه ، ص49

²فتيحة إبراهيم صرصور ، النقد الثقافي والنقد النسوي ، دنيا الوطن ، غزة ، فلسطين ، د ط ، د ت ، ص08

بعناصرها وتركيبها جاءت لتجلي المضمون وتأتي في جميعها لتكشف عن الغرض فكل كلمة كالوتر تشارك مع غيرها المعزوفة الموسيقية وكل لفظ لها لون خاص يشترك معه .

تحتل المرأة في الرواية العربية مساحة كبيرة ، وتمثل أحيانا الدافع الأقوى لدى السارد لكي يمارس فعله ، ولذلك فإن التعرف الى طبيعة وجودها أساس مهم من الأسس الموضوعية والفنية للرواية ولا تخلو إشكالية من عملية موازنة فنية تحدث من طبيعة هذا الوجود والعالم الخارجي والداخلي الذي تمثله الرواية بشكل عام ، وتمثله كل شخصية أو فعل ينتمي اليها بشكل خاص هذه الموازنة تكمن في طبقة الرواية ثم تتضح في طبيعة الأحداث والشخصيات وتقدم آلياتها خلال مجموعة الإمكانيات السردية التي تتحد في النص¹ .

" سمعت عن فيرا زاسوليتش ؟

لا

كانت فيرا شابة اشتراكية في روسيا عام 1879 وعندما سمعت ان الحاكم العام لمدينة بطرسبورغ ، الجنرال تريبوف قام بتعذيب سجناء ذهب الى مكتبه وأطلقت عليه الرصاص ، لكنها اصابته ولم تقتله قبضوا عليها وعندما سألوها في التحقيق ان كانت ثمة عداوة بينها وبين تريبوف قالت :

أنا لا أعرف تريبوف ، لكني أعرف بأنه يعذب السجناء وأنا قررت لأقتله لأنه لا يجوز لأحد أن يهين انسانا هذا الايمان العميق بالافلات من العقاب .

تحولت فيرا بعد هذه الجملة الى بطلة قومية كان عشرات الألوف من الروس يتظاهرون كل يوم أمام المحكمة لها²

¹نبيل حويلي ، الخطاب الروائي النسوي الجزائري ، مجلة إشكاليات ، المركز الجامعي منغاست ، الجزائر ، قسم الدراسات السردية ، ع 3 ، ص 57

²الرواية ، ص 272

1- مظاهر البطريركية

إن المجتمعات التقليدية أكثر المجتمعات التي يسود فيها النظام الأبوي ، والمجتمع العربي حسب تصنيف العديد من الكتاب والباحثين هو مجتمع تقليدي يسوده نظام أبوي يشكل مجموعة من الأنماط المتنوعة من السلوك والقيم والتنظيم ، وقد تناولت العديد من الأدبيات والدراسات مفهوم النظام الأبوي في إطار الإشارة للهيمنة الذكورية وفي إطار هيمنة الرجل على المرأة " هو تجلي ومؤسسة للهيمنة الذكورية على النساء والأطفال في الأسرة ، وتوسيع الهيمنة الذكورية على النساء في المجتمع بعامه " وهذا التعريف يرى بأن الرجال يتولون السلطة في جميع مؤسسات المجتمع المهمة وأن النساء محرومات من سلطة كهذه .

بمجيء السبعينات من القرن العشرين أخذ مصطلح الأبوية في الشروع في الدراسات النسوية ومن خلالها ولعب المصطلح في هذا الحقل دورا مركزيا في السعي الى تتبع السيطرة الذكورية في المجتمعات الإنسانية بوصف تلك السيطرة مصدرا للكبت المفروض على الأنثى وراء أوائل المنشغلين في ذلك الحقل أن الأبوية شائعة في كل المجتمعات بمعنى أنها كلها أبوية النظام لا يسمح فيها للمرأة أن تتجاوز موقعها الثانوي أو الدوني .

يرى الكثير من المتخصصين إن مفهوم النظام الأبوي أو البطريركية مفهوم اجتماعي مرتبط بالنظريات والفكر الاجتماعي وتناوله للمجتمع، حيث لا يعبر هذا المفهوم فقط عن سيطرة وسلطوية يقوم بها الرجال على النساء بل هو مفهوم اوسع بكثير ويشير الى القيم والرموز والتصورات للأنا والآخر والعالم ويتمحور حول الأب الطبيعي سواء في الأسرة او السلطة او النسق القيمي بشكل عام. ومن خلال ذلك تسعى هذه الدراسة الى تناولوا إبراز أهميته في إطار النظريات الاجتماعية مع التطبيق في ذلك على المجتمع العربي. إي إننا نسعى من وراء هذا التناول الى استكشاف ومعرفة هذا النوع من المصطلحات والوقوف على دوره في تخلف المجتمع العربي كما أشار الى ذلك شرابي. ثم إن التركيز على دراسة هذا المفهوم

يهدف الى استشراف إمكانية احداث التغيير الاجتماعي وتقديم التفسيرات والتوضيحات ومعرفة مكامن الخلل بغية إعادة بناء البنى الاجتماعية والسياسية على أسس رشيدة وعقلانية.

إن المجتمعات التقليدية أكثر المجتمعات التي يسود فيها النظام الأبوي، والمجتمع العربي حسب تصنيف العديد من الكتاب والباحثين هو مجتمع تقليدي يسوده نظام أبوي يشكل مجموعة من الأنماط المتنوعة من القيم والسلوك والتنظيم، فرغم تعدد الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية التي تناولت المجتمع العربية، إلا أنها كانت تنظر للمجتمعات العربية باعتباره مجتمعات جامدة، الأمر الذي دفع ببعض الكتاب كهشام شرابي الى تناول المجتمع العربي بدراسة معمقة عن بنية المجتمع والعائلة العربية، وقد خرج بنتيجة مفادها ان بنية المجتمع العربي يسوده "النظام الأبوي" الأمر الذي جعله متخلفاً يكرس علاقات غير متكافئة بين أفراد المجتمع سياسياً واجتماعياً بعيداً عن الحداثة والتطور الذي حدث في الدول الرأسمالية. لذا فيمكن أن تتمحور إشكالية البحث في مفهوم النظام الأبوي عند هشام شرابي والمحددات التي اعتمدها في تناوله للنظام الأبوي في المجتمع العربي.¹

يقوم مفهوم النظام الأبوي أو البطركية لدى هشام شرابي على أساس وجود روابط تراتبية بين افراد المجتمع، يخضع بموجبها البعض للبعض الآخر، يسميها ذهنية أبوية تأخذ نزعة سلطوية شاملة ترفض النقد ولا تقبل بالحوار الا أسلوباً لفرض رأيها فرضاً. ويفرق شرابي بين النظام الأبوي والنظام الأبوي المستحدث او الجديد تعبيراً عن التطورات والتحويلات التي لحقت بهذا النظام لاسيما في الحالة العربية.

¹ هشام شرابي، "النظام الأبوي والتبعية ومستقبل المجتمع العربي". ورقة بحثية قدمت في ندوة العقد العربي القادم: المستقبلات البديلة، مركز دراسات الوحدة العربية ومركز الدراسات العربية المعاصرة جامعة جورجتان، بيروت، 1986.

النظام الأبوي الجديد كمفهوم يشير إلى البنية الاجتماعية، السياسية، والنفسية التي يتميز بها المجتمع العربي المعاصر. إنه مفهوم ذو ازدواجية نظرية مهمة لأنه يعبر عن تشكيلة اجتماعية هجينة ناتجة عن الانتقال من نظام تقليدي إلى نظام حديث دون استكمال عملية التحول أو الانتقال بصفة نهائية. وهو الأمر الذي جعل المجتمع العربي المعاصر يبدو في هذه الصيغة التي يجمع فيها بين التقليد والحداثة دون أن يكون أي منهما. إنه نظام يعيش الماضي في الحاضر والحاضر في الماضي، إنه مزيج بين التراث والمعاصرة، "نظام غريب يختلف عن أي نظام" على حد تعبير شرابي

إن مفهوم النظام الأبوي بالنسبة لهشام شرابي ذا طبيعة مزدوجة؛ فالأبوية كمقولة اجتماعية اقتصادية كلية (تحيلنا للمجتمع، الدولة، الاقتصاد) وجزئية (تحيلنا للعائلة والشخصية الفردية) من جهة، وكمقولة نظرية تحليلية أو نموذج مثالي من جهة أخرى¹

يركز هشام شرابي في تناوله النظام الأبوي في المجتمع العربي على النظام الأبوي الحديث بوصفه نمطاً اجتماعياً وفكرياً، لذلك نجده في إطار ذلك يحاول الإفادة من فيبر وماركس وفرويد، أي إنه يجمع بين عدد من المناهج في إطار متآلف ليحاول تقديم نظرة شاملة لما في المجتمع من بنى وطبقات وعلاقات أساسية، كما إنه يميل الى مفهوم للمجتمع مبرزاً عامل الثقافة ومركزاً على عناصر البنى الفوقية أكثر من الاقتصاد. بالإضافة الى ذلك ينطلق شرابي في فهمه² للنظم الأبوي من زاويتي المرحلة التاريخية السابقة والمرحلة المقابلة أي الحداثة، فيسعى من وراء ذلك الى تقديم تفسيرات وفهم للنظام الأبوي وتشكيله. كما انه ينطلق من مقولات ربما لا تمت للواقع وتراث الأمة العربية وتطورها التاريخي، كمسألة الوعي

¹المجتمع الأبوي: قراءة في أعمال هشام شرابي. القاهرة: الاتحاد العربي للجمعيات الفلسفية، 2012.

عطية، أحمد عبدالحليم وآخرون. نقد

²[2] هشام شرابي، النقد الحضري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990)، ص

الطبقي حين يعزو فشل تطور او فشل نخبة ما الى وعيها الطبقي وما الى ذلك. ولذلك فمفهوم المجتمع الأبوي كما طوره شرابي يسعى الى نقد وتفكيك السلطة والسلطة السياسية القائمة على الهيمنة والتسلط والقمع، وهذا النقد يسعى الى الانتقال من هذا النظام التقليدي الى نظام الحداثة الذي يسود فيه الحرية بعيدا عن سيطرة الأب.¹

في تعريف للنظام الأبوي في المجتمع العربي يجعل شرابي الحداثة في مقابل النظام البطرقي، فالنظام الأبوي البطرقي نظام معرفي قائم على الدين او الأسطورة يتوصل الى الحقيقة بطرق دينية وتعليمية ولغته بيانية ونظامه قائم على السلطة او البيروقراطية وتركيبته الاجتماعية عائلية وقبلية طائفية. والحداثة هي العكس تماما فهي النظام القائم على الفكر والعقل ويتوصل الى الحقائق بطرق علمية نقدية ... الخ.

أي ان معيار اعتبار مجتمع ما مجتمعا متخلفا او ابويا يقدمها شرابي كمعيار عالمي من منظار الحداثة، وبذلك يصبح في نظره كل ما هو أوروبي هو غربي مرادف لكل ما هو حديث وما هو غير حديث، في الوقت نفسه يتبادر الى أذهاننا أهمية وجدية هذا القول، فهناك مجموعة من المجتمعات ما زالت تعيش تقاليدها وأبويتها السياسية والاجتماعية، وبنفس الوقت تعتبر دول متطورة وفقا للمعايير الليبرالية مثل المجتمع الياباني ومجتمعات الدول الرأسمالية والصناعية في جنوب شرق آسيا، التي تعيش تقاليدها بصورة عنيفة وفيها أحيانا نزعات عنصرية وتميطية أبوية يكرسها قادتها

يحدد هشام شرابي مجموعة من الخصائص لما يمتاز به النظام الأبوي في المجتمع العربي، سنأتي على ذكر بعضها، وهي

¹المصدر نفسه ، ص165

السيطرة والخضوع: يشكل الأب في النظام الأبوي أداة القمع الأساسية، وبزيادة القمع يزداد الايمان بالخرافة وبالتالي يؤدي الى احكام السيطرة على الوضع القائم والخضوع للأب لا بالمعنى البيولوجي فقط بل بالمعنى الثقافي أيضا.¹

التبعية: فالنظام الأبوي لا ينتج ذوات مستقلة بقدر ما ينتج افرادًا سلبيين همهم الوحيد الامتثال للأعراف بدل احترام القوانين وتكريس الولاء للتقاليد بدل طاعة أوامر العقل.

الولاء: أي أن العائلة أو العشيرة أو الدين أو الجماعة الإثنية (بدلاً من الأمة أو المجتمع المدني) تشكل أساس العلاقات الاجتماعية وما يقابلها فيه من تنظيم اجتماعي.

ويضيف شرابي في موضع آخر خاصيتين من خصائص النظام الأبوي، وهما:²

النماذج المطلقة: أي ان هناك وعياً مغلقاً ومطلقاً (في نظرية العمل والسياسة والحياة اليومية) في هذا المجتمع، وهو وعي يرتكز على مفاهيم التعالي وما وراء الطبيعة والوحي والانغلاق (بدلاً من الاختلاف والتعدد والتساوي والانفتاح... الخ).

الممارسات الشعائرية: أي السلوك المبني على الرسميات والعادات والشعائر (بدلاً من العفوية والابداع والابتكار... الخ).

اللغة سلطة في إطار مجموعة من مستويات السلطة الاجتماعية التي تشكل منظور المتحدثين بها، وهي عند شرابي مؤسسة اجتماعية ونظام قيم في آن ويقصد شرابي بذلك اللغة الفصحى "التقليدية" مفرقا بينها واللغة المحكية الدارجة، هذه التفرقة نابعة باعتبار الفصحى لغة العلم والعامية لغة الطفولة، والاقبال عن لغة العلم يأتي كلغة ثانية تماماً وكأنها لغة أجنبية. هذه الثنائية في نظره ترسخ الانقسامات الاجتماعية التقليدية وتطمس الأسس المادية والطبقية للتباين الثقافي، الأمر الذي يجعل من المعرفة اداة نفوذ وتميز، فتتحول

¹المصدر نفسه ، ص166

²المصدر نفسه ، ص156

المهارة اللغوية الى مصدر جاه وسلطان. هذا الأمر قد يكون صحيحاً من جانب، إلا إنه يفتقر الى دراسات ميدانية في كيفية توظيف اللغة لمصلحة الأب او النظام الأبوي؛ إذ قد يكون العكس إذا ما افترضنا ان استخدام المهارات اللغوية الخاصة قد يكون عامل تنفير للفئات الاجتماعية المختلفة في محاولة السيطرة عليها وتوجيهها، ثم اننا لا نستطيع ان نضع هذا القول على جميع المجتمعات العربية، فالمجتمع العربي ليس كلاً متجانساً، فهو يختلف من مجتمع الى اخر ويختلف ايضا في درجة استخدامه للفصحى والعامية بل حتى في استخدامه للغة الأجنبية. بالرغم من مقاطعات أبي وأمي ومحاولاتهما البائسة تغيير الموضوع فإني أستمر في خطي¹ لم تمنعها سلطة الأب من المضي قدما حتى وان كانت سلطة الأب الكلمة النهائية التي يجب أن تطاع .

2- الشخص النسوية الثائرة

تحتل المرأة في الرواية العربية مساحة كبيرة ، وتمثل أحيانا الدافع الأقوى لدى السارد كي يمارس فعله ، ولذلك فان التعرف الى طبيعة وجودها أساس مهم من الأسس الموضوعية والفنية للرواية ولا تخلو الإشكالية من عملية موازنة فنية تحدثت من طبيعة هذا الوجود والعالم الداخلي والخارجي الذي تمثله الرواية بشكل عام ، وتمثله كل شخصية أو فعل ينتمي اليها بشكل خاص ، هذه الموازنة تكمن في طبقة الرواية ثم تتضح في طبيعة الأحداث والشخصيات وتقدم آلياتها خلال مجموعة الإمكانيات السردية التي تحدد النص² .

وفي مجال دراسة الأدب والثقافة والسّينما، يتّخذ النّقد النسويّ صورة تحليل آليات الانتاج والاستهلاك المتعلّقة بنصوصٍ أو ممارساتٍ بعينها من منظور نسويّ، علماً أنّ هناك طرقاً مختلفة للتّناول، جميعها نسويّة، وكلّها تسمح بالتّعدّد في إطار المعارف المختلفة وفي إطار النسويّة نفسها. تقول ماجي هام في مقدّمة كتاب " الاتّجاهات النسويّة: مجموعة

¹الرواية ، ص39

²شهبيرة برباري ، صورة المرأة في رواية سرداب الجنة لاسماعيل حامد فتاة الجامعة ، مجلة فكر الثقافة ، 2ع ، 2015 ، ص46

مقالات " (1992) : تعتبر النسوية حركةً متعدّدة الجوانب من الناحية الثقافية والتاريخية، وقد لاقت أهدافها تأييدًا في شتى أنحاء العالم، ويمكن تقييم مدى فعالية النسوية إذا نظرنا إلى الخطاب النسوي وإلى مدى تغلغله في التفكير على مستوى الحياة اليومية¹.

وكان الظهور الأول لمصطلح " النسوية - feminism " في أدبيات الفكر الغربي عام 1895، أمّا مفهوم المصطلح المتمثّل في فعل نسويّ مطالب بحقوق المرأة فقد بدأ مع نهايات القرن الثامن عشر..

أمّا اعتماد مصطلح النسوية في حقول العلوم الانسانية فقد بدأ رسميًا عام 1910، وذلك في مؤتمر دوليّ ساهمت في عقده النسوية البارزة كلارا زاتكين، حين أعلن الثامن من آذار عيدًا عالميًا للمرأة، وهو التاريخ الذي اعتمده عصابة الأمم لإحياء ذكرى العصيان المدنيّ الذي قامت به العاملات في نيو يورك علم 1895 احتجاجًا على الأوضاع البائسة التي كنّ يعانين منها، وقد ماتت فيه بعض هؤلاء العاملات².

يحاول النّقد الأدبيّ النسويّ إيجاد تعريفٍ علميٍّ ودقيقٍ لما يسمّى " كتابةً نسويةً "، إلّا أنّه لم ينجح في بلوغ ذلك إلى الآن، ذلك أنّ تصوّر مفهوم تلك الكتابة أمرٌ عسير، لأنّ هويّة المرأة نفسها غير قابلة للحصر، متمدّدة ومتشعّبة ومتنوّعة، وبالتالي فإنّ أيّ كتابة يمكن أن توصف بالنسوية لا يمكن لها أن تحيط بتلك الهوية، وإن افترضنا لتلك الكتابة وجودًا حقيقيًا فإنّنا نكون قد قيّدناها بتعريفاتٍ قد تضيق عنها، ويستخدم لتوصيف هذه الاشكالية عادةً مصطلح (اللّاممكن تحديده Undecidability -)، وهو مصطلح نقديّ.

¹ . بام، موريس: الأدب والنسوية؛ تر: سهام عبد السلام - المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2002.

² تود، جانيت: دفاعًا عن التاريخ الأدبيّ النسويّ؛ تر: ريهام إبراهيم - المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2002.

من أهم من يطرح ذلك الرأي الناقد لوسي إرجاري وجوليا كريستيفا، وهما تذهبان أيضاً إلى أنّ محاولة تحديد مفهوم للكتابة النسوية يؤدي إلى وضع المرأة والرجل في إطار تكوينيهما البيولوجيين، وهو أمر غير مقبول أبداً لدى النسويات المعارضات للماهوية البيولوجية¹.

ويذهب النقد الأدبي النسوي إلى تخطئة وصف الأعمال الأدبية المتعلقة بالمرأة بأنها نسوية لمجرد إقبال المرأة على قراءتها، فمنها ما لا يتعاطف أبداً مع المرأة بل ويتخذ مواقف ضدها، ومع ذلك نجد كثيراً من النساء يقبلن على قراءتها، كذلك لا يمكن وصف الأعمال التي كتبتها النساء أو التي تكتب عنهن بالنسوية للسبب ذاته².

ويمكن معرفة أهم سمات ما يسمّى بـ "الأدب النسوي" من خلال الوقوف على ما جاء في كتاب الناقد النسوية ماري إيجلتون: "النظرية الأدبية النسوية"، إذ يعتبر الأدب نسوياً إذا عبّر النص الأدبي عن تجربة المرأة الخاصة وواقع حياتها بشكل صادق ومخالف للأنماط التي صورت بها المرأة طويلاً، والتي تنافي إلى حد بعيد الحقيقة والواقع. " تزلت نورهان قبل أ، تبلغ الثلاثين وتحملت وحدها مسؤولية ابنها حمزة ، صحيح أنه كان لديها دخل شهري كبير من نصيبها في الميراث بالإضافة الى مرتبها في الجامعة ... ثم اجتهدت حتى عملت كمذيعة في إذاعة الشعب كلفتها مديرة الإذاعة بعقد مؤتمرات عن الأزمة"³ .

ابتسمت وقالت : أنا بالذات اللي حأعطل التغيير ؟

¹ كريستيفا، جوليا: الانثوي، ذلك الغريب فينا؛ حوار مع أرواد أسير، مجلة مواقف، ع 73 - 74، 1993 - 1994.

² المصدر نفسه ، ص52

³ الرواية ، ص77

رد بحماسة :

اشترائك في المظاهرة أهم من اشتراكي .كوني أطالب بالتغيير ده طبيعي لأنني فقير ،
لكن لما واحده من أسرة غنية تطالب بالتغيير يبقى شيء نبيل لأنها بدافع عن الحق أكيد
حيكون في المظاهرة ناس أغنياء غيري

انت منتظرة من الاخرين يقوموا بالواجب بالنيابة عنك

هزت رأسها وقالت

ما فيش فايده في المناقشة انا ماشية

سلام¹

" هنا علا صوت أمير واختلط بصوت ماجدة في عبارات غاضبة متداخلة ... فأشار القس
اليهما بيده وقال لأشرف صعب نقع الناس² نجد مشاركة النساء في الميدان وذلك
لشعورهن بالمسؤولية الوطنية والدعوة للتغيير بدل المكوث مكتوفي الايدي في بيوتهن .

¹الرواية ، ص95
²

ثالثا: الانتلجنسيا وسقوط المثقف في الرواية

- في مفهوم الانتلجنسيا

ورد مفهوم الانتلجنسيا في موسوعة المصطلحات السياسية بأنه " مصطلح يعني وجود المثقفين في النقاد والروائيين والثوريين ، الذين يحددون معالم الطريق في أي دولة ويتميزون بقوتهم الأيديولوجية والسياسية " ¹ . نشأ هذا المصطلح في ظل النظريات الاشتراكية في أوروبا الشرقية خلال القرن الماضي ، وقد أطلق على نخبة من المثقفين الذين تولوا مهمة النقد الاجتماعي والسياسي ، فكانوا بذلك مشرفين على شؤون الفكر والثقافة ، يقول نديم البيطار في تعريفه للانتلجنسيا أنها " كلمة روسية ... استخدمت لأول مرة في روسيا من ستينيات القرن الماضي ، وذلك للإشارة الى المثقفين الذين كانوا يمارسون النقد الفكري لزمانهم ومجتمعاتهم ، ويرفضون النظام القائم ويدعون الى تغييره ويقدمون تصورات ومفاهيم عامة جديدة أو نظريات نقدية حول المجتمع والتاريخ ، أو النظام الاجتماعي السياسي ككل ، يلتزمون بالأفكار الثورية التي يقدمونها ويعيشون لها ويحيون بها " ² ذلك لكنهم فئة تتميز بذكاء خاص يؤهلها الى تلمس متطلبات المجتمع ومن ثم إصلاحه .

والانتلجنسيا في ذلك المناخ واجهت النقد كونها لا تستطيع أن تنتظم في طبقة مستقلة ، وأسندوا ذلك الى كونها شريحة تعبر عن مصالحها البنيوية الخاصة ، حتى اذا انتظمت في طبقة ، فان معرفتها تصبح عندئذ محكومة بمصالحها الطبقيّة فمن ضمن شروط التنظيم الذاتي ، ليس ممنوعا الافتراض بأن المعرفة الاجتماعية إنما هي محددة بالمصالح الطبقيّة الأكثر بروزا .

وبما أن الانتلجنسيا بوصفها شريحة اجتماعية ، تشكل انتلجنسيا هذه الطبقة الاجتماعية أو تلك وينجم عن هذا أن كل طبقة اجتماعية تحوز في النهاية على الانتلجنسيا

¹ محمد عابد الجابري ، المثقفون في الحضارة العربية ، ص24

² نديم البيطار ، المثقفون والثورة ، ص14

الخاصة بها ، لكن تاريخ القرن العشرين يتضمن الى هذا بعض التغيرات الحاسمة منها تقوية أشكال الاشتراكية في أوروبا الشرقية وبروز راسمالية الدولة الاحتكارية في البلدان المتطورة صناعيا ، ونهوض المنظمات الاقتصادية التي ترتسم ورائها مدارات السلطة التكنوقراطية على الصعيد العلمي ، ان كل هذه التحولات تهدف الى تحويل موقع الانتلجسيا من البنية الاجتماعية¹ . هذا يعني أن الأنتلجسيا في مناخها الاشتراكي لم تستطع أن تكون لذاتها طبقة مستقلة ضمن النسيج الاجتماعي ، لأنه كانت لكل طبقة اجتماعية انتلجسيا خاصة بها وقد تطور بعد ذلك موقعها في المجتمع بتطور أنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية

ومن هذا المنطلق توسعت الانتلجسيا ببنيتها الاجتماعية المعقدة في المجتمع الاشتراكي ، لتشمل كل الذين يتميزون بطابع نشاطهم ومهامهم التي يؤديونها في المجتمع ، فأصبحت تضم العلماء والأدباء والفنانين ، وبعض الأخصائيين في عمليات انتاج المعرفة الجيش والمعلمين والأطباء ... وبالتالي أصبح العمل الخلاق هو الذي يحدد نوعية نشاط الانتلجسيا² . وهي بذلك أصبحت تشمل " جميع الذين يشاركون في السمات المميزة لها ، أو يكونون على استعداد لتشكل هويتهم بموجبها ، وذلك يصرف النظر عن مكانتهم أو طبقاتهم³ .

ويرى نديم البيطار "أن الانتلجسيا قد شكلت ظاهرة متكاملة في أوروبا الشرقية وخصوصا روسيا فقد مارست في المرحلة ما قبل الماركسية وما بعدها دورا أساسيا لا نجد ما يعادله في البلدان الغربية ولكن نجد اتجاهات مماثلة في البلدان النامية"⁴ وعدت بعد ذلك الانتلجسيا سمة بارزة ميزت البلدان الغير متقدمة أو المتوقفة النمو ، باعتبار أن هناك

¹ ميشال سليمان ، بين الثقافة والسلطة والمفهوم التاريخي لدور الانتلجسيا ، مجلة الفكر العربي ، ع3 ، مجلد 7 ، تموز 1980 ، بيروت ، ص69

² المصدر نفسه ، ص79

³ نديم البيطار ، المثقفون والثورة ، ص15

⁴ المصدر نفسه ، ص20

عناصر مثقفة تنفصل نفسيا وأخلاقيا كما حدث في روسيا في القرن التاسع عشر عن وسطها الذي تعيش فيه لتشكل نخبة مضادة للنخبة الحاكمة ، وتكرس نفسها للتحويل الجذري ، فالانتلجنسيا بعد الماركسية " أصبحت ظاهرة حديثة ونتاج مميز للعصر الصناعي ... وذلك لأنه بظهور المجتمع الصناعي فحسب تولد لدى الإنسان الاقتناع بقدرته على صنع تاريخه بنفسه ، وبالثورة على المجتمع بتغييره نحو الأحسن والأعدل فيما كان هذا المجتمع ظالما ولا يلي المطامح الإنسانية " ¹ . ومن هنا أصبحت الانتلجنسيا ظاهرة عالمية إنسانية تعمل على انتاج التصورات الأيديولوجية الجامعة التي تعيد تشكيل الإنسان والمجتمع من جديد ، وتكون بمثابة مرآة مثالية للحياة الجديدة التي ستمخض عنها التحولات الثورية ² .

إن أول من أطلق مصطلح الانتلجنسيا في الثقافة العربية كان يراد به ذلك المدلول التاريخي الاجتماعي المحدد والذي " يشير الى المتعلمين تعليما عاليا يتألف من الأطباء والمحامين والمهندسين والمعلمين والصحافيين والكتب ، سواء كانوا مشغولين بالفكر أو عدمه ، وسواء كانت لهم اهتمامات عامة خارج مهنتهم وتخصصاتهم أو لم تكن " ³ . ثم أطلق بعد ذلك ليراد به " جميع أولئك الذين ترتبط مهنتهم بالعمل العقلي ، ومن ثمة تكمن وظيفتها الإستراتيجية في إنتاج الفعليات الذهنية في جميع الميادين " ⁴ ثم أصبح يطلق بعد ذلك على نخبة المثقفين الذين تجمعهم الروح النقدية وكذا الحس الثوري " شريحة تنتمي الى مشروع محدد ولا تتبنى أي فكرة نهائية ، بل قوام دورها ممارسة الفعل النقدي المستمر " ⁵ .

لطالما اتصل الدور الثوري اتصالا وثيقا بالانتلجنسيا وذلك كونها أعلى مستويات النخبة المثقفة والتي يمكنها وحدها الاطلاع بمهام الثورة والتتظير لها ، فمهمة الانتلجنسيا ليست تبرير الوضع القائم وإضفاء الصبغة الشرعية عليه ، بل مهمتها الرئيسية هي ممارسة

¹ جورج طرابيشي ، من المثقفين الى الانتلجنسيا ، ص 03

² المصدر نفسه ، ص 03

³ علي محمود مصطفى مرتضى ، المثقف والسلطة ، دار قباء ، القاهرة ، ط 1 ، 1998 ، ص 25

⁴ صلاح كامل ، الانتلجنسيا ، هذا اللغز البرجوازي ، دار الفارابي ، بيروت ، 1979 ، ص 98

⁵ المصدر نفسه ، ص 56

النقد الجذري لما هو كائن التزاما بما ينبغي أن يكون ، يقول نديم البيطار " الانتلجسيا تقود الحركات الثورية لأنها على نقيض الجمعات الأخرى ، تكسر حصار المفاهيم التقليدية والخطوط الطبقيّة الجامدة في المجتمع القديم ، تحمل تصورات مستقبلية تجند وتوجه الطاقات والجماعات المحررة وتقديم بعض الأفكار التي تكون غامضة وغير عملية حول كيفية تحقيقها ، هذه التصورات تحدد ليس فقط القضايا الجديدة التي يجب أن تشغل الناس والقوى التاريخية التي تفرزها بل أيضا الحل الممكن لها في مستقبل جديد " ¹ . وهو مواجهة المجتمع بعيوبه واحداث خلطة عامة في بنيته القاعدية اذ اقتضى الأمر من أجل إعادة بعث مجتمع جديد يتوافق مع تطلعاتها الثورية الإصلاحية .

- في مفهوم المثقف

نشأ مصطلح المثقف في سياق سياسي محض ، واستخدم بصفة أساسية من قبل أولئك الذين كانوا ينادون بالحقوق السياسية وقد تخلق هذا الاسم من خلال أدباء فرنسا الذين قادوا الحركة التي استهدفت تحرير الوظائف الأدبية والكتابية وهي الحركة التي كانت ترمي أساسا الى الحد من سيادة النزعة العسكرية ² . ومفهوم "مثقّف" بمفهومه الحديث والمعاصر قد تطورت مدلولاته ومفاهيمه عبر العصور ، ان كلمة ثقافة الفرنسية باعتبارها أصلا لمصطلح المثقف ، كانت تعني في الأصل الزراعة والفلاحة ، وقد تطور مدلولها ابتداء من القرن السادس عشر، لتفيد معنى مجازي وهو تنمية القدرات العقلية بالتدريب والمران " ثم تدل على مجموعة المعارف المكتسبة التي تمكن من تنمية روح النقد والقدرة على الحكم " ³ . ومن هنا نجد ان مصطلح الثقافة في الفرنسية قد تطور دلاليا من معنى الزراعة واستغلال خيرات الأرض التي تدريب الفكر وجني الثمار ، أي من انتاج الأرض الى انتاج الفكر .

¹ نديم البيطار ، المثقفون والثورة ، ص20

² وليد خالد أحمد ، محددات الدلالة اللغوية ، ص01

³ محمد عابد الجابري ، المثقفون في الحضارة العربية ، محنة ابن حنبل ونكبة بن رشد ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، 1995 ، ص22

كان ذلك بالنسبة لمفهوم الثقافة بشكل عام ، أما مفهوم المثقف فهو متشعب ومختلف باختلاف وجهات النظر " هو ذلك الشخص المتعلم والذي ينتمي بدوره الى الطبقة الوسطى ويشتغل بما تعلم ، وهو بذلك يختلف عن الذي يعمل بالصناعة والتجارة من الطبقة العليا والطبقة الدنيا"¹

في حين نجد مفهوم كلمة مثقف عند الفيلسوف الإيطالي "أنطونيو غرامشي" تضم كل انسان يفعل التفكير أي جميع الناس مثقفون من وجهة نظر غرامشي بنسب مختلفة لكنهم يمتلكون جميعا الوظائف الاجتماعية للمثقفين ، والتي لا يمكن أن يمارسها الا المثقفون أصحاب الكفاءات العالية ، الذين يمكنهم لتأثير في الناس ، وذلك أن لكل انسان رؤية معينة للعالم ومستوى معين من المعرفة والإنتاج الفكري وكل انسان مثقف وان اختلفت مستويات ووظائف ودلالات ثقافتهم وهكذا يتسع مفهوم المثقف ليشمل المفكرين والعلماء والكتاب والمبدعين ورجال الدين وغيرهم² .

ومن هنا جاء تقسيم غرامشي للمثقفين الى "مثقف تقليدي" وآخر "عضوي" فالقليدي هو الذي يرتبط بالمجموعات القيمة والطبقات الالية للزوال ويكون مثقفا عضويا " عندما يساهم في تعبئة المجموعة الاجتماعية الصاعدة ، وبلورة مطامحها وأهدافها بعبارة أخرى ان المثقفين اما يكونوا أدوات للهيمنة على مستوى المجتمع المدني ، الهيمنة التي تمارسها المجموعة الاجتماعية المسيرة على مجموع الجسم الاجتماعي واما يكونوا أداة من أدوات السيطرة على مستوى المجتمع السياسي"³ .

يرى عبد السلام الشاذلي أن المثقف بالإضافة الى أنه رجل علم ومعرفة فهو يكون من نظرائه المثقفين طائفة أو فئة ذات ملامح وأبعاد عام في المجتمع من المجتمعات الإنسانية

¹المصدر نفسه ، 34

²بن خدة نعيمة ، المثقف والسلطة عند ادوارد سعيد ، اشراف بهادي منير ، مذكرة ماجستير ، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران ، 2011-2012 ، ص25

³محمد الجابري ، المثقفون في الحضارة العربية ، ص20

وهذه الملامح والسمات هي التفكير العلمي والرومانسية من حيث هي تعبير عن النزعة الفردية لدى المثقف ومن حيث قيمتها الأصلية بالنسبة للفنانين خاصة والسمة الثالثة هي التمرد أو الثورة وأخيرا الشعبية وهي نزعة ذات أهمية بالغة في تكوين نفسية المثقفين¹ . وعليه فالمثقف لا يتحدد وضعه بنوع علاقته بالفكر والثقافة ولا لكونه يكسب عيشه بالعمل بفكره ، بل يتحدد وضعه بالدور الذي يقوم به في المجتمع .

1- الضابط :

لا يحتاج اللواء أحمد علواني الى جرس المنبه ، ما ان يؤذن لصلاة الفجر حتى يستيقظ وحده ، يظل مستلقيا في الفراش مفتوح العينين يهمس بكلمات الأذان ، ثم ينهض الى الحمام فيتوضأ على عجل² الضابط هنا هو ذلك الرجل الملتزم المتدين الذي يفرق بين الحلال والحرام وقد جعل الراوي شخصية الضابط تمر بمرحلتين متباينتين وكأنه يحاول اطلعنا على الجانب النفسي للشخصية الملتزمة وفي نفس الوقت يقول :

" قد يسأل سائل كيف لمسلم ورع مثل اللواء علواني أن يتفرج على أفلام البورنو ؟

ياله من سؤال سخيف لا يطرحه الا جاهل أو حاقد ، صحيح أن مشاهدة البورنو من الأفعال المكروهة شرعا لكنها ليس من الكبائر³ استخرج لها الضابط التصريح وشكرها على وطنيتها وقد بدا على وجهه أنه يغالب نفسه حتى لا ينزلق الى أفكار غير لائقة⁴ . هنا يأتي التبرير باباحة المحظور وذلك لأسباب نفسية تعيق الضابط في كونه يتنزه عن فعل الكبائر ، وكأن ثقافته الدينية تبيح له الوقوع في المعاصي دون الكبائر .

¹عبد السلام الشاذلي ، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2009 ، ص25

²الرواية ، ص7

³الرواية ، ص8

⁴الرواية ، ص219

2- الأستاذ:

" الأستاذ عبد الظاهر يمنع أي تلميذة مسلمة غير محجبة من دخول المدرسة ، ويوقف الدراسة لأداء صلاة الظهر ، بحيث يؤم بنفسه المدرسين والعمال في فناء المدرسة ، بينما تؤدي التلميذات والمدرسات الصلاة في الفصول " ¹ ارتسمت صورة الشخصية المثقفة لدى الكاتب من خلال ذلك الانسان النزيه والأستاذ مربي الأجيال الذي يكون قدوة للتلاميذ في حياتهم المستقبلية ولكن انقلبت موازين شخصية الأستاذ المثقف والرجل الورع الى ذلك الانسان الحقير الذي تملص من مسؤوليته ودخل الى معمعة المكر والخديعة في ثوب الواعظين

" هكذا هي صورتنا من الخارج يا عزيزي أما الحقيقة فان مدرسة النهضة ليست الا وكر عصابة بمعنى الكلمة تضم المدرسين جميعا برئاسة الأستاذ عبد الظاهر نفسه هذه المدرسة هدفها الوحيد ابتزاز التلميذات واجبارهن على الدروس الخصوصية " ² يتحدث الكاتب عن صورة الاحتيال الذي يخلقه الأستاذ داخل ذلك المجتمع المدرسي وكيفية ابتزاز الأستاذ لتلاميذه

" انهم يقسمون التلميذات الى ثلاث طبقات : بنات يأخذن دروس خصوصية وهؤلاء يحظين بمعاملة خاصة ويحصلن على الدرجة النهائية في أعمال السنة وفي الامتحان يتدخل المدرسون لمساعدتهن على الغش ويتم ذلك بعلم الأستاذ عبد الظاهر وتشجيعه " ³ نجد خلق طبقيّة مزيفة يحملها الجشع والحصول على المال بالاستغناء عن الرسالة التي يجب أن يؤديها ذلك الانسان المثقف في الحرم المدرسي .

¹ الرواية ، ص43

² الرواية ، ص42

³ الرواية ، ص42

3-الإعلامي :

اتصلت نورهان بالشيخ شامل لتسأل عن الرأي الشرعي في إذاعة معلومات غير صحيحة على التلفزيون ، سكت الشيخ شامل لحظات ثم قال لها اننا نعتبر الان في حالة حرب مع الخربين الذين يردون اسقاط الدولة والشرع الحنيف يبيح للمسلمين في حالة الحرب ما يبيحه في أوقات السلم¹ عمد النظام الفاسد الى استعمال المشايخ والعلماء واستضافتهم على القنوات الفضائية وذلك قصد كسب طيبة الناس والتراجع عن الثورة التي هي حق شرعي .

" سنكلفك مع زملائك بافتتاح وسائل الاعلام بكل أشكالها محطات تلفزيونية وإذاعة وصحف ومواقع اليكترونية لا بد أن نستعيد المبادرة ، واجبنا أن ننشر الوعي بين المصريين حتى يتمكنوا من افشال الآمرة ، هذه المشروعات ستكلفكم أموالا كثيرة ولن تدر عليكم أي ربح مالي لكنها ستنتقذ الوطن² عمد الصحافي المثقف الى خلق نوع من الثورة الإعلامية المضادة للنظام وانجاح الثورة .

" صارت نورهان من أبرز المذيعين في القنوات جميعا وسجل برنامجها اليومي "مع نورهان" درجات مشاهدة غير مسبوقة وفقا لجهاز رصد المشاهدة واحصائيات الشركات المتخصصة كل ليلة يشاهد المصريون نورهان وهي تستضيف أساتذة في الجامعة ومفكرين وخبراء...وتتهي اللقاء بدعاء تردده بصوت خاشع³ . كسب استعطاف المعجبين بالمذيعات لتصديقهن فيما يقننه عن جدية التغيير لكسب رهان الثورة وسعى الكاتب لإبراز درجة الانحاطات التي لجأ اليها المذيع المثقف في تظليل الرأي العام ومحاولة تشويه شرعية الثورة .

¹الرواية - ص219

²الرواية ، ص259

³الرواية ، ص374

4- النقابي :

" كان أشرف ، في أعماقه يحس بالذنب قال لنفسه : هاهو شاب لم يبلغ الثلاثين يخوض نضالا جديا من أجل حقوق العمال "

أهلا بزعيم العمال

أنا مش زعيم ، أنا مجرد ممثل للعمال لأنهم انتخبوني في اللجنة النقابية واللجنة الرباعية " تطل علينا لوحة من بنات بحري لن تعرفها أبدا بنات الطبقة الراقية باختصار المرأة الشعبية هي المرأة وكل ما عداها مزيف ومصطنع تماما كالفرق بين الوردة الطبيعية والبلاستيكية ... ماذا يحدث اذا دعوت خطيبتك الارستقراطية الى الغداء " ¹ . نجد أن الكاتب عمد الى جعل الشخصية التي تمثل العمل النقابي ذات المكانة العالية التي يغمرها الاحترام المتبادل كيف أنها حاولت تغيير مجريات الأحداث لصالح النظام وذلك من خلال الضغط على العمال بين معيشتهم والطرده الذي سيكون مضرا لهم .

¹ الرواية ص 26

خاتمة

الخاتمة :

تعد هذه الدراسة قراءة سوسيو ثقافية لرواية "جمهورية كأن" لعلاء الأسواني ، رصدت كل التغيرات الاجتماعية والثقافية داخل مجتمع النص الروائي ، ووصفت كل الآثار المترتبة على تلك التحولات الكبرى في المجتمع الروائي . وعليه خلصنا الى مجموعة من النتائج أهمها :

- كشف جزئيات الحدث وتحليل أسبابه والنتائج التي أدى إليها ، فكشف عن تفكك المجتمع المصري وسقوط الأخلاق بفعل سياسة الحكومات التي أثرت على الواقع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي
- رصد التغيرات العديدة الحاصلة في المجتمع المصري ، فحاولت الرواية تحويل المفاهيم الاجتماعية الى ايدولوجيات يؤمن بها البعض دون وجود اثر لأي ايدولوجيا لديهم
- أصبحت الثقافة الشعبية مكملا للرواية عبر التكامل الفكري بين المتلقي وبين ما تعرضه الرواية من مضامين وأفكار .
- دور التاريخ الاستعماري في ترسيخ العديد من الانساق الثقافية التي تعيق تقدم الأمم والمجتمعات ومنها الأبوية المتعالية
- ان الأيدولوجية عبارة عن نسق منتظم من الأفكار التي ينسجم معها الإنسان وهي لا تفارق المجتمع فهي متمكنة منه وملازمة له ودالة عليه
- لا يمكن الاستغناء عن الأيدولوجي لكون فنية العمل الروائي يتطلب هذا المكون في ظل الحديث عن الوضع الذي آل إليه المجتمع في ظل السلطة الحاكمة
- تحدث عن المثقف وموقفه من قضية السلطة السياسية ورصد الوضع المجتمعي والثقافي الذي كان خاضعا للقمع السياسي
- وصفت لنا الرواية أحداثا يباير في مصر والصراع الايدولوجي السياسي الذي كان يدور بين الطبقات المجتمعية والنظام والفساد .

الملاحق

ملخص رواية جمهورية كان :

صدرت رواية «جمهورية كان» للكاتب علاء الأسواني عن دار الآداب لبنان في 522 صفحة من الحجم المتوسط لتناقش شرارة الثورة المصرية ونجاحها ثم انحسارها سريعاً مستعينة بفسيفساء مختارة بعناية تشكل الوجه المشرق للثوار والوجه المظلم لمن وقفوا في وجه الثورة وقاتلوا من أجل إجهاضها، حسب رؤية الكاتب، ثم نجحوا في تحقيق مخططهم في نهاية الأمر.

(1)

يكتب باولو كويلو إهداءه لرواية «11 دقيقة» إلى رجل قابلته صدفة في مدينة لورد الفرنسية بعد فراغه من كتابة الرواية، ذلك الرجل الذي قدمه إلى أسرته الصغيرة وقال له «إنك تجعلني أحلم». يقول باولو إن العبارة أسعدته ولكنها سببت له قلقاً عميقاً أيضاً لأن «11 دقيقة» رواية صادمة ولا تشبه الأحلام كما يرى كويلو، فأخذ اسم الرجل كاملاً ثم كتب إهداءً خاصاً بذلك الموقف جاء فيه «موريس غرافلين، هذا الكتاب مُهدى إليك، لدي واجب تجاهك وتجاه زوجتك وحفيدتك وتجاه نفسي، التحدث عما يشغلني وليس عما يود الناس سماعه، إن بعض الكتب تجعلنا نحلم وبعضها الآخر يذكرنا بالواقع، ولكن لا يمكن لأي كاتب أن يتصل بما هو جوهرى لكتابته، ألا وهو النزاهة التي يكتب بها».

أهدى الأسواني الكتاب إلى زوجته وأبنائه فيما يبدو إهداءً تقليدياً مكرراً ولا جديد فيه ولكن لو تأملته قليلاً لرأيت الجانب الآخر منه. كان الإهداء أقرب لرسالة تحذيرية من أجل بث جرعة الوعي لدى أسرته الصغيرة ولمصر كلها، حسب رؤية الكاتب، للأسباب الحقيقية التي أدت إلى قتل الثورة وعودة مصر إلى المربع الأول.

يأتي عنوان العمل مثيراً للفضول «جمهورية كان» بجعل (كان) الفعل الناقص اسماً، وهو ما أبعده عن التقليدية، فاختيار العنوان المناسب من المهمات الشاقة والصعبة التي يدركها الكاتب ويعانون منها مع كل مولود ورقي لهم، وهذا يحسب للأسواني فبعيداً عن اسم الكتب الذي يظل

عند الكثيرين كافياً لاقتناء أي كتاب له أتى اسم العمل جاذباً ومكتفياً بالغموض وجاذباً من أجل فك طلاسمه ومعرفة مكنونه.

(2)

تعتبر رواية «جمهورية كأن» عملاً سياسياً خالصاً ناقش انفجار الثورة المصرية وانحسارها ومسبباتها وتباين مواقف الشعب المصري منها، منتصراً لجيل الشباب في مصر بشكل عام ومسقطاً مسببات إجهاض الثورة على جيل الآباء، محاولاً عكس ذلك التباين من داخل الأسرة نفسها، (أسماء ووالديها) (علواني وابنته دانية) (مازن وعصام صديق والده) وإن كان الوضع أتى معكوساً في حالة أشرف القبطي وأسرته حيث كان الأب يقف مع الثورة قلباً وقالباً في حين وقف أبناؤه على الضفة الأخرى.

أتى العمل بصوت الراوي العليم ربما لأن إطلاق العنان للأصوات الكثيرة والمتشابكة في عمل كهذا قد يسبب فوضى تصعب السيطرة عليها، كما أن الراوي البطل لن يستطيع عكس الصورة كاملة كما ينبغي لها أن تشاهد، فتم الاستعانة بالراوي العليم ليلج إلى الدواخل وما يدور في العقل وحديث النفس وهو في العادة الصوت المفضل للأسواني حيث يعفيه من اتخاذ موقف حيادي تجاه أبطال العمل ليقدموا أنفسهم للقراء حسب رؤيتهم الخاصة، ولأن الراوي العليم يجعل الأسواني يقول الشخصيات في القالب الذي يراه مناسباً، وفي حالة «جمهورية كأن» التي نحن بصدد الحديث عنها كان الراوي العليم ديكتاتوراً في قولبة الشخصيات وإلقاء التهم عليها ومحاكمتها أخلاقياً ووطنياً دون إعطائها حق الدفاع عن نفسها وتوضيح رؤيتها المختلفة لمسار الثورة نفسها. الوصائية التي فرضها الأسواني على شخوص العمل جعلتهم إما خير مطلق أو شر مطلق، الإنسان العادي الذي يتصارع الخير والشر في داخله غير موجود، ربما لم تغب هذه الحقيقة عن بال الأسواني ولكن فعل الكتابة هنا لم يكن روائياً وإنما هو محاكمة كاملة لفسيفساء الثورة حسب

ما يراها الأسواني من زاويته فقط، فأنت تتلمس صوته ونفث غضبه وإحباطه واضحاً في أسطر الرواية مما أوقعها كثيراً في فخ المباشرة والتقيرية.

(3)

«جمهورية كأن» تعتبر عملاً توثيقياً لأحداث ثورة 25 يناير/كانون الثاني إن صح التعبير، فالكاتب استعان بعدد من الشهادات الحقيقية للأحداث كما في أحداث ماسبيرو حيث استعان بشهادة لبنى درويش وبيشوي سعد وشهادة محمد الزيات، كما استعان بشهادة سميرة إبراهيم ورشا عبد الرحمن وسلوى الحسيني جودة عن حوادث كشف العذرية. فلو تجاوزنا أن الشهادات نفسها أتت خارجة عن سياق النص وغير متوافقة مع المسار السردى للعمل بحيث تم وضعها من دون ترتيب ولم يقدمها الراوي بصوت الراوي العليم أو يحكي عنها واحد من أبطال الرواية بل وضع اسم جانبي لكل واحد من الشهود ثم تم نقل شهادته حرفياً والانتقال للذي يليه، وإن كان من الأفضل سرد تلك الشهادات في سياق سردي مقبول بدلاً من وضعها مثل الدامل على جسد العمل، فلو تجاوزنا ذلك نجد أن الكاتب حاكم ظاهرة التدين في المجتمع المصري كدليل مباشر على النفاق الاجتماعي الذي كان السبب الأول في انهيار الثورة حسب رؤيته، حيث تم إظهار المتدينين كقتلة ومنافقين أو مجرد وحوش تجري خلف مصالحها في أنانية مطلقة، فتم التعريض بالحية والحجاب والنقاب وأداء الصلوات وغيرها من مظاهر التدين. في الجانب الآخر تم تقديم من تخلصوا من كل مظاهر التدين أكثر صدقاً ووفاء وإنسانية ولم ينج من هذا التصنيف المسلمون أو المسيحيون. ولكن للمفارقة نجد أن الضحايا الثلاثة اللاتي قدمن شهادتهن في قضية كشف العذرية كن محجبات على أرض الواقع، أي أنهن منافقات حسب تصنيف الكاتب في روايته ولكنه لم يتورع عن استخدام شهادتهن كأدلة تخدم أغراضه من كتابة الرواية رغم مظاهر التدين التي تغلب عليهن في تناقض يطعن في نزاهة العمل والغرض من السياق الأدبي الذي صيغت فيه الشهادات. في حقيقة الأمر ليس المتدين خيراً مطلقاً ولا هو شراً مطلقاً، كما أن المتحرر من الالتزام الديني ليس خيراً مطلقاً أو شراً مطلقاً بالتالي.

(4)

شاب العمل الكثير من التطويل والتفكك في السرد، كما أن اللغة كانت ضعيفة في كثير من المواضع وكالعادة لا بد من بعض الجنس كبحار لازم كتابات الأسواني، غير أن العمل هنا احتوى على عدد كبير من الشخصيات في اصطفاة مبدأى تجاه ظاهرة التدين في مصر ما جعل العمل في مجمله محاكمة تبدو «كأنها رواية».

المراجع

قائمة المصادر والمراجع :

1. مخائيل باختين ، الكلمة في الرواية ، ترجمة يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا ، ط1 ، 1988 .
2. أحمد ميساوي ، أنواع الصراع في روايات نجيب كيلاني ، رسالة ماجستير ، اشراف عكاشة شايف ، جامعة تلمسان ، 1993-1994 .
3. بام، مورييس: الأدب والنسوية؛ تر: سهام عبد السلام - المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2002.
4. بن خدة نعيمة ، المثقف والسلطة عند ادوارد سعيد ، اشراف بهادي منير ، مذكرة ماجستير ، قسم الفلسفة ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران ، 2011-2012.
5. تود، جانيت: دفاعًا عن التاريخ الأدبيّ النسويّ؛ تر: ريهام إبراهيم - المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2002.
6. جان بيلمان ، التحليل النفسي للأدب ،تر: حسن المودن ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 1997.
7. جان بيلمان ، التحليل النفسي للأدب ،تر: حسن المودن ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 1997.
8. جميل حمداوي ، الرواية السياسية والتخيل السياسي ، موقع ديوان العرب ، 2013 .
9. جورج لوكاتش ، معنى الواقعية الاشتراكية ، تر : أمين العيوطي ، دار المعارف ، د ت
10. رانسيير ، سياسة الأدب ، تر : سهيل أبو فخر ، الهيئة العامة السورية للكتاب،دمشق ، ط1، 1998.
11. سامية ادريس ، صور الصراع في رواية ص لزياب بوكفة ، مجلة الخطاب ، جامعة عبد الرحمن ميرة ، بجاية ، مج 13، ع1، 2005.

12. شهيرة برباري ، صورة المرأة في رواية سرداب الجنة لاسماعيل حامد فتاة الجامعة ، مجلة فكر الثقافة ، ع2، 2015.
13. الشيباني ، دور المربي ورجل الاعلام والمرشد الديني في الوقاية من الجريمة والانحراف .
14. صالح إبراهيم الصنيع ، التدين علاج الجريمة ، الرياض ، دار الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، 1993.
15. صالح مفقودة ، أبحاث في الرواية العربية ، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب العربي ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية .
16. صلاح كامل ، الانتلجنسيا ، هذا اللغز البرجوازي ، دار الفارابي ، بيروت ، 1979.
17. عبد السلام الشاذلي ، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2009.
18. عصمت محمد حوسو ، الجندر الأبعاد الاجتماعية والثقافية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1، 2009.
19. عطية أحمد محمد ، الرواية السياسية ، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، د ت ، ط1 .
20. علاء الأسواني ، رواية جمهورية كان ، دار الآداب للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2018 .
21. علال سنوقة ، المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية ، نشر رابطة كتاب الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، جوان 2000.
22. علي محمود مصطفى مرتضى ، المثقف والسلطة ، دار قباء ، القاهرة ، ط1 ، 1998.

23. فتيحة إبراهيم صرصور ، النقد الثقافي والنقد النسوي ، دنيا الوطن ، غزة ، فلسطين ، د ط ، د ت .
24. كريستيفا، جوليا: الانثويّ، ذلك الغريب فينا؛ حوار مع أرواد أسبر، مجلّة مواقف، ع 73 – 74، 1993 – 1994.
25. كمال غنيم ، عناصر القصة القصيرة ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، د ط ، 2015 .
26. الماضي شكري عزيز ، الرواية والانتفاضة نحو أفق نقدي جديد ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2005.
27. الماضي شكري عزيز ، الرواية والانتفاضة نحو أفق نقدي جديد ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2005.
28. المجتمع الأبوي: قراءة في أعمال هشام شرابي. القاهرة: الاتحاد العربي للجمعيات الفلسفية، 2012.
29. محسن خليل عمر ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط 1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1978 .
30. محمد عابد الجابري ، المثقفون في الحضارة العربية ، محنة ابن حنبل ونكبة بن رشد ، ط 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، 1995.
31. محمد كامل الخطيب ، الرواية والواقع ، دار الحدائق ، بيروت ، ط 1 ، 1981.
32. محمد هادي مرادي ، لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها ، مجلة دراسات الأدب المعاصر ، السنة الرابعة ، العدد 16.
33. مخائبيل باختين ، الكلمة في الرواية ، ترجمة يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة ، سوريا ، ط 1 ، 1988 ،
34. مصطفى الموقين ، تشكيل المكونات الروائية ، دار الحوار للطباعة والنشر ، سوريا ط 1، 2001 .

35. مصطفى الموقين ، تشكيل المكونات الروائية ، دار الحوار للطباعة والنشر ، سوريا ط1، 2001 .
36. ميشال سليمان ، بين الثقافة والسلطة والمفهوم التاريخي لدور الانتلجنسيا ، مجلة الفكر العربي ، ع3، مجلد 7، تموز 1980، بيروت .
37. نبيل حويلي ، الخطاب الروائي النسوي الجزائري ، مجلة إشكاليات ، المركز الجامعي منغاست ، الجزائر ، قسم الدراسات السردية ، ع 3 .
38. نضال صالح ، المغامرة الثانية ، دراسات في الرواية العربية ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، ط1، 1999،
39. هشام شرابي، "النظام الأبوي والتبعية ومستقبل المجتمع العربي". ورقة بحثية قدمت في ندوة العقد العربي القادم: المستقبلات البديلة، مركز دراسات الوحدة العربية ومركز الدراسات العربية المعاصرة جامعة جورجنتان، بيروت، 1986.
40. هشام شرابي، النقد الحضري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990)

ملخص بالعربية :

تناولنا من خلال دراستنا قضية من قضايا الأدب الحديث وهي هواجس الثورة في مجتمع النص الروائي لعلاء الأسواني - رواية جمهورية كأن - دراسة سوسيو ثقافية حيث قمنا بتسليط الضوء على قضايا اجتماعية وثقافية متعلقة بالإنسان المصري خاصة أثناء ثورة يناير، ومختلف القضايا السياسية التي يتعرض لها من تهيش وظلم وكذا الاجتماعية بين الطبقات المتباينة في مصر . وقد تصدى الخطاب الروائي لمناقشة ثورة يناير في مصر بما يعكس أدبيات الواقع المصري خاصة وتكشف هذه الرواية عن العلاقة بين النظام والشعب والوطن .

الكلمات المفتاحية

الطبقية - الثقافة - الانحراف - المثقف - الانتلجيسيا - البطريكية

Summary :

Through our study, we dealt with one of the issues of modern literature, which is the obsessions of the revolution in the society of the novelist text of Alaa Al-Aswany - a republican novel as - a sociocultural study, where we shed light on social and cultural issues related to the Egyptian person, especially during the January revolution, and the various political issues that marginalize him Injustice, as well as social disparity between the disparate classes in Egypt. The novelist discourse addressed the discussion of the January revolution in Egypt, reflecting the literature of the Egyptian reality in particular. This novel reveals the relationship between the regime, the people and the homeland.

key words: Class - culture - deviation - educated - intelligentsia - patriarchy